

سينما يوليو

قراءة نقدية وتوثيق حال مجتمع

اسم الكتاب	سينما يوليو - قراءة نقدية وتوثيق حال مجتمع
المؤلف	د. عمرو منير
الطبعة	الأولى
سنة النشر	٢٠٢١
الإيداع الوطني	
الترقيم الدولي	
الناشر	مكتبة أوزوريس

محفوظ
جميع الحقوق

سينما يوليوس

قراءة نقدية وتوثيق حال مجتمع

د. عمرو منير

مكتبة أوزوريس

2021

”
قد لا توجد أية طريقة أخرى لفهم
الإنسان إلا من خلال الفن

“

نادين غورديمير
روائية جنوب أفريقية (١٩٢٣ - ٢٠١٤)

هَذَا

إلى

صديقي اليساري الحق،

إلى

صديقي الأكبر الطبيب الرحالة،

إلى

أبي وأمي أبناء يوليو.

وأخيراً...

إلى زوجتي الصبورة.

شكر وتقدير

لكل من

الأستاذ / عز الدين عطا الله - الصحفي بجريدة السوهاجية.

والأستاذ / فتحى الصومعي - عضو اتحاد الكتاب.

والأستاذ / أسامة البنا - عضو اتحاد الكتاب.

والأستاذ / عبد الحميد محمد .. قام باطراجة اللغوية.

«طا بذلوه من جهد كبير؛ حتى يظهر هذا العمل إلى النور».

المؤلف

كلمة لا بد منها...

قرأتُ للدكتور عمرو منير.. لقد كان كتاباً قيماً حمل الكثير، وكان سخياً يعطي عن طيب خاطر، إنه كتاب في الانتماء وحب الوطن، ووطنية من دم ولحم، مصري لا تشوبه شائبة، ترى فيه أحلام البسطاء، وتشتم فيه عرق العاملين؛ بدايةً بعمال التراحيل، وانتهاءً بعرق العاملين أمام أفران صهر الحديد بمصانع حلوان، وهذا لا يمنع رؤيتك لانكسار الحُلم على أيدي العملات المزيفة التي لا يروق لها رؤية العملات الجيدة.

الدكتور عمرو منير، كاتب وقف على مسافة واحدة ممن كتبوا عن يوليو الحُلم والأمل، ومن كتبوا عن يوليو والجرح ينزف؛ آمِلين في سرعة الشفاء، مسافة واحدة ممن كانوا مع أو ضد، ضد من باب الخوف على يوليو... لم يهتم ولم يتعاطف مع من شمروا عن سواعدهم وشحذوا سكاكينهم للتشقي في يوليو بعد نكسة يونيو، يومَ اجتمع عليها خصوم التحرر والبناء والعدالة الاجتماعية ومصر للمصريين، لم يكن مع من رغبوا في الثأر من ثورة أخذت من المتخمين لتعطي الجياح؛ لتحرر المصري من عبوديته للمصري ولغير المصري.

قرأتُ الدكتور عمرو منير الذي كان فناناً بدرجة دكتور، وكان أديباً بدرجة دكتور، كان فناناً يحيل قارئه إلى فنان يعيش الوطن ويحلم له، ويُحيل القارئ إلى أديب يستمتع كثيراً بما يخبئ بين السطور، ويجعله في ذات الوقت ميسوراً لطلابه، إنه السهل الممتنع والممتع أيضاً.

قرأتُ الدكتور عمرو منير؛ فوجدت أنه يقف عند كلمات ليقول إنها ليست كالكلمات، ويقف عند مشاهد بعينها ليقول إنها تقول الكثير والكثير، وتقول ما لا يُقال، وأنها دموع وآهات قلماً نراها أو نسمعها ما لم نستحضر ضميرنا الجمعي وآمالنا،

وآلامنا على هذه الأرض.

قرأت الدكتور عمرو منير الذي توحد مع الأدباء أصحاب الروايات التي تحولت إلى أفلام، وكان الممثلين الذين لعبوا أدوارهم باقتدار، وكان المخرج متعدد المشارب والذي تعيشه دمة حارة تارة، وابتسامة قد تصير ضحكاً أو حتى قهقهة تارة أخرى.

كتاب الدكتور عمرو منير دعوة لإعادة القراءة والمشاهدة؛ حيث الدروس المستفادة من الروايات موضوع الكتاب، إنما هي دروس متجددة، وما أحوجنا لكل حرف حملته هذه الدروس، ودعوة لإعادة مشاهدة هذه الأفلام والتي تُصر على أن تقول وبلغت تعرف طريقها إلى العقل والقلب، لغة تعرف طريقها في خطوط لا تعرف الالتواء، لغة تحترم أصحابها، ويرى أصحابها أنه إذا ما ضاعت ضاعوا.

لقد كان كتاب الدكتور عمرو منير صفحات معدودات، ولكن طرحها الفكري والثقافي والإنساني والفني يتخطى هذه الصفحات؛ حتى كانت أشجاراً وارفة، يخسر كثيراً من لم يستظل بظلها، ويأكل من طيب ثمارها، والتي يمكن القول إنها لا مقطوعة ولا ممنوعة.

فتحي الصومعي

عضو اتحاد الكتاب

المحتويات

مقدمة	١١
سينما الريف المصري	١٣
"يوميات نائب في الأرياف"، كيف كان الريف المصري قبل يوليو.	١٥
"زينب"، وإرهاصات حركة يوليو	١٩
"الحرام" ومأساة فلاحى الترحيلة.	٢٣
"الأرض"، عندما يثور الفلاح من أجل الأرض والماء.	٢٧
"الزوجة الثانية"، جدارية وقاع الريف المصري.	٣٢
"صراع في الوادي"، توثيق حال الصعيد... قبل يوليو.	٣٧
سينما المرأة المصرية.	٤٣
"مراقى مدير عام"، عندما تسبق المرأة المصرية الرجال.	٤٥
"أنا حرة"، عندما تثور الفتاة المصرية على واقعها.	٤٩
"الباب المفتوح"، عندما يُفتح باب الحياة للمرأة المصرية.	٥٣
"لا وقت للحب"، دور المرأة المصرية في المقاومة الشعبية.	٥٨
سينما الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.	٦٣
"القاهرة ٣٠"، الثورة المؤجلة على واقع مضطرب.	٦٥
"في بيتنا رجل"، عمل يوثق تاريخ مصر.	٧٠
"بداية ونهاية"، تراجيديا أسرة من الطبقة المتوسطة.	٧٤
"الأيدي الناعمة"، عندما تعرق الأيدي الملكية.	٧٩
"قنديل أم هاشم"، عندما يصطدم العلم بالموروث الشعبي.	٨٣

- "أم العروسة"، حال الطبقة المتوسطة بعد الثورة. ----- ٨٧
- "السمان والخريف"، حال سياسي من العهد البائد. ----- ٩١
- "غرام في الكرنك"، عندما أصبح الرقص الاستعراضى المصرى فناً راقياً. ----- ٩٥
- سينما نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية بعد الثورة.** ----- ٩٩
- "ميرامار"، بنسيون يمثل الوطن بعد الثورة. ----- ١٠١
- "عودة الابن الضال"، هذا هو ما كان من أجيال يوليو. ----- ١٠٥
- "العصفور"، توصيف مؤلم لأسباب النكسة. ----- ١١١
- "ليلة القبض على فاطمة"، عندما ثارت فاطمة على متسلقي يوليو. ----- ١١٥
- "أرض النفاق"، نقد البيروقراطية المصرية بعد الثورة. ----- ١٢١
- "آه يا بلد آه"، نقد متأخر وشباب مهاجر. ----- ١٢٤
- سينما السد العالى.** ----- ١٢٩
- "الحقيقة العارية"، تجسيد وتوثيق ملحمة بناء السد العالى. ----- ١٣١
- "الناس والنيل"، عندما يجتمع النوبي والروسي على أرض سد أسوان. ----- ١٣٥
- الخاتمة. ----- ١٣٩
- المراجع. ----- ١٤١

مقدمة

تعتبر ثورة يوليو ١٩٥٢ من أهم الأحداث التاريخية التي شهدتها مصر والمنطقة العربية في القرن العشرين؛ خصوصاً وقد ترتب عليها الكثير من النتائج التي مازالت تتفاعل في الواقع المصري والعربي حتى الآن.

تركت ثورة يوليو أثراً عميقاً في الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي المصري؛ حيث قامت ثورة يوليو التقدمية بخلخلة كاملة للطبقات في المجتمع المصري، وتضخمت على إثره الطبقة المتوسطة المصرية، وانتقلت طبقات كاملة من أبناء الفلاحين والعمال إلى تلك الطبقة الحديثة التشكل، كل ذلك جاء نتيجة سياسات الثورة، من: القضاء على الإقطاع، والإصلاح الزراعي، ومجانية التعليم.

بالرغم مما سبق؛ فإن ثورة يوليو مازالت ماثراً استقطاب فكري حاد بين أوساط المثقفين والسياسيين المصريين والعرب؛ فهناك الكثيرون منهم يتهمونها بأنها سبب توقف تطور الحياة السياسية المصرية، والقضاء على الأشكال المختلفة للتعددية السياسية، بينما آخرون يؤمنون بأن ثورة يوليو كانت حتمية تاريخية في الأساس؛ حيث كان يستحيل بقاء النظام الملكي بحالته المهترئة تلك؛ نظراً لعدم قدرته على فرض الاستقرار السياسي، بالإضافة إلى نظامه الطبقي الإقطاعي والذي لم تكن الديمقراطية قادرة على تفكيكه بأي حال من الأحوال.

في ظل هذا الجدل الفكري المحتدم، لم أجد إلا السينما المصرية كوسيلة لتوثيق حال المجتمع المصري بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، وكيف عبّرت السينما المصرية في ذلك الوقت عن التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية العميقة التي طرأت على

الدولة المصرية بشكل مباشر وغير مباشر.

ولذا؛ فهذا الكتاب يضم بين صفحاته تقييماً فنياً قام به مُشاهدٌ غيرٌ متخصص، لنماذج متفرقة من الأفلام المصرية، والتي أُنتجت في الفترة الزمنية التالية لثورة يوليو، بعضها يرسم صورة للمجتمع المصري في ذلك العصر، والبعض الآخر يتناول حال المجتمع قبل قيام الثورة بشكل يشرح أسباب قيام الثورة في الأساس، وأعمالٌ أخرى تنتقد ثورة يوليو نفسها وتوجهاتها.

تجنبت أن أضُم للكتاب بعض الأعمال الفنية الشهيرة، والتي تناولت عهد يوليو بالنقد اللاذع، والذي يغلب عليه تصفية الحسابات السياسية أكثر من كونه نقداً ببناءً، بالإضافة إلى أنني تجنبْتُ أيضاً تناول الأفلام الدعائية لثورة يوليو، والتي مجّدت في الثورة ونهجها بشكل مباشر وعلى قدر عالٍ من المبالغة.

معظم الأعمال الفنية المتناوِلة في الكتاب، قام بتأليفها صفوةٌ كتاب مصر في ذلك العهد، وبالمصادفة فإن عدداً من تلك الأفلام التي تحمل نقداً لاذعاً لنظام يوليو السياسي والاجتماعي، قد تم إنتاجها بواسطة المؤسسة العربية للسينما التابعة للدولة في ذلك الوقت؛ مما يُحسب للثورة والعهد الناصري.

تم تقسيم الكتاب إلى خمسة أجزاء؛ تبعاً لمضمون الأفلام المتناوِلة؛ فهناك قسم سينما الريف المصري، وقسم سينما المرأة المصرية، وقسم سينما الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وقسم سينما نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية بعد الثورة، وقسم سينما السد العالي.

وأخيراً... إن هذا الكتاب ما هو إلا إعادة قراءة في صورة نقدية لثورة يوليو، من خلال السينما المصرية عن طريق كاتب غير متخصص، كل ما يهدف إليه هو تقييم حدث تاريخي جلل مختلف عليه حتى وقتنا هذا.

عمرو منير... سوهاج ٢٠٢١



سينما الريف المصري



يوميات نائب في الأرياف...

كيف كان الريف المصري قبل يوليو؟

يعتبر فيلم يوميات نائب في الأرياف، والذي قامت الدولة بإنتاجه عام ١٩٦٩، من أكثر الأفلام نضجاً وعمقاً في التعبير عن الريف المصري في عهد ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢.



الفيلم مأخوذ عن الرواية الشهيرة للكاتب "توفيق الحكيم"^(١) والتي كتبها في ثلاثينيات القرن الماضي تحت نفس الاسم.

تدور أحداث الفيلم عن وكيل النائب العام، والذي يحقق في قضية مقتل أحد الفلاحين "قمر الدولة" في إحدى قرى الريف المصري؛ لبدأ "الحكيم" من خلال البطل في تشريح الريف المصري في العهد الملكي، وعلاقة الفلاح بالحكومة والقضاء، وكيف كان الواقع المأساوي للفلاح المصري في هذا العهد.

حاول البطل تحقيق العدالة وسيادة القانون، ولكنه لم يتمكن من ذلك؛ لمقاومة السلطة التنفيذية له؛ متمثلة في المأمور، والذي كان كل همّه إرضاء الحكومة المعيّنة من قبل الملك؛ لينتهي الفيلم بغلق التحقيق في قضية القتل؛ متزامناً ذلك مع الانتخابات النيابية، والتي كان المأمور يديرها لصالح الحكومة المعينة.



الفيلم كسينما من النوع الثقيل فنياً، بالرغم من غياب نجوم السينما وقتها؛

(١) (١٨٩٨-١٩٨٧م): كاتب وأديب مصري، من رواد الرواية والكتابة المسرحية المصرية والعربية.

فاختيار المخرج "توفيق صالح" للبطل الشاب وقتها "أحمد عبدالحليم"^(١) (الأكاديمي القدير) كان في محله؛ حيث عبّر عن الصراع النفسي لرجل القضاء بشكل دقيق ومتمكن، بينما عبّر الفنان المخضرم "توفيق الدقن" عن المأمور الذي يعبر تماماً عن مصالح رؤسائه بشكل فكا هي ساخر.

كان السيناريو الذي كتبه "ألفريد فرج" مستنداً على أجمل أجزاء الرواية موفقاً للغاية؛ حيث اعتمد بشكل كبير على التعبير الصادق عن المشاعر الإنسانية المتناقضة، عن طريق حوار البطل مع نفسه بين الحين والآخر عما يعانيه من صراع نفسي عميق، بسبب ما يرى في تلك القرية من أحداثٍ مثيرة ومؤلمة.

استطاع الفيلم بالصورة والحوار، أن يقدم تفاصيل لحالة القرية المصرية، والتي تحمل العديد من المعاني المباشرة والدلالات حول الفساد والفقر والجهل، الذي كان يستشري في القرية المصرية وينخر في عظمها؛ مما يساعد على تفشي التزوير والفساد وتوارثهما بين الأزمنة والعصور.

من أكثر مشاهد الفيلم سريالية في التعبير عن الصراع الدائر وقتها بين السلطات في العصر الملكي، هو مشهد الشجار بين زوجات كل من المأمور والقاضي، بينما ترتدي كل منهما الزي الرسمي لزوجها؛ حيث وقفت كل منهما في أعلى سطح منزلها وأخذت في كيل الشتائم للأخرى، وهنا عبّر الكاتب بقوة عن هذا الصراع الدائر، بشكل ساخر ومعبر.

سألت نفسي عن هدف إنتاج هذا العمل من قبل الدولة، وكانت الإجابة: في توقيت الإنتاج "عام ٦٩" بعد نكسة يوليو "عام ٦٧" وكأنها أرادت الدولة أن تذكّر المصريين بالعهد الملكي البائد، وكيف كان يعيش الفلاح المصري وقتها، ربما بذلك قد

(١) (١٩٣٤-٢٠١٣)، ممثل ومخرج مسرحي مصري وأستاذ بمعهد التمثيل.

تجد عذراً للهزيمة العنيفة التي مُنيت بها الدولة بسبب النكسة، ويصبح القضاء على هذا الواقع المرير شفوياً لثورة يوليو.

لقي هذا الفيلم وقتها هجوماً شديداً من قبل الهيئة السياسية، بحُجة أن الفيلم ينتقد نظام الرئيس جمال عبدالناصر، وقد تم اقتراح ١٦ تعديلاً بالفيلم، إلى أن وافق الرئيس جمال عبدالناصر على عرض الفيلم كاملاً، بعدما تأكد أن الفيلم لا يشير لنقده؛ بل على العكس يصف عهد ما قبل يوليو من ممارسات، والتي للأسف استمر بعضها بعد الثورة.

تنتهي الانتخابات في تلك القرية؛ ليصاحب ذلك اكتشاف جثة "ريم" طافية على سطح مياه الترعة، والتي للمصادفة تطفو معها صناديق الاقتراعات التي تلقي بها الإدارة التي تمارس التزوير؛ لينتشل الأهالي الصناديق وجثة "ريم" ليجد وكيل النيابة نفسه أمام موقف لا يُحسد عليه، ويقرر أن يتقدم بطلب نقل بعد أن قام بتقييد القضية ضد مجهول؛ لتنتهي القضية وتنتهي معها الانتخابات بشكل متزامن، وتصبح الحقيقة هي الضحية لتلك الأوضاع المعيبة.



زينب...

وارهاصات حركة يوليو

قليل من الأعمال الفنية في تاريخ السينما، تمت إعادة إنتاجه أكثر من مرة، والأقل أن يتم إعادة إنتاجه وتقديمه بنفس المخرج، وذلك إيماناً منه بقوة العمل وتأكيده على أن إعادة الإنتاج ستركز الضوء على أبعاد فنية جديدة لم يتناولها العمل الأول.



من تلك الأفلام القليلة والتي تمت إعادة إنتاجها، فيلم زينب، والذي تم إنتاجه أول مرة كفيلم صامت عام ١٩٣٠؛ ليعاد إنتاجه مرة أخرى عام ١٩٥٢ ويتم

عرضه في شهر مايو من نفس العام، قبل شهرين من قيام تنظيم الضباط الأحرار بحركته الانقلابية، والتي انتهت بخلع الملك وقيام دولة يوليو وما تبعها من تغييرات ثورية وعضوية في أركان المجتمع المصري.

الفيلم عن قصة الأديب "محمد حسين هيكل"^(١) الباشا ابن الطبقة الأرستقراطية، والذي صدرت روايته عام ١٩١٣ تحت عنوان "زينب".. مناظر وأخلاق ريفية؛ متفادياً أن يكون عنوان الرواية أثوياً بالكامل؛ حتى لا يثير المجتمع المصري المحافظ وقتها... وأيضاً فقد وقّعها باسم مستعار في طبعتها الأولى: فلاح مصري؛ حتى لا يتأثر وضعه الاجتماعي في الوسط الأرستقراطي، والذي لم يكن يحترم مؤلفي القصص... وكانت تلك الرواية أول رواية مصرية مكتملة الأركان، تأثر فيها الكاتب بالفكر الرومانسي الفرنسي... فيلم زينب، من إخراج "محمد كريم"، وحوار "محمد كريم" و"عبدالوارث عسر"، وبطولة "يحيى شاهين" و"راقية إبراهيم" و"فريد شوقي" و"سليمان نجيب" و"فردوس محمد" و"سناء جميل" ونخبة من الفنانين، الذين كانوا وقتها في بداية رحلتهم الفنية.

تدور أحداث الفيلم حول "زينب" تلك الفلاحة البسيطة، والتي تعمل بالأجرة هي وأبوها في عزبة حامد بيه... تتعلق زينب بإبراهيم (الخولي)، والذي عاد من (الجهادية)^(٢)... ترغم "زينب" على الزواج من "حسن" ابن أحد كبار الفلاحين الأغنياء؛ ليتطوع "إبراهيم" في الجيش ويعود إلى القرية؛ ليجد أن زينب مريضة بالسل ويرفض "حسن" وأهله علاجها؛ فيضطر أن يتدخل لإنقاذها هو و"حامد" بيه، وينقلها إلى المستشفى بعد أن يطلقها "حسن".

(١)- شاعر وأديب وسياسي مصري (١٨٨٨-١٩٥٦م).

(٢)- تسمية الجيش المصري منذ عهد محمد علي باشا.

الفيلم الذي أخرجه وكتب حواره "محمد كريم"، تناول حياة القرية بشكل دقيق؛ فجاء التناول للأبعاد الجمالية للمكان، والذي تمثّل في بداية الفيلم بصوت الراوي، والذي استعان بوصف كاتب الرواية المأخوذ عنها الفيلم، وتناول الفيلم أيضاً الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للقرية، والتي تتناقض كلياً مع جمال القرية وهندستها؛ فالقرية تعجّ بالظلم الاجتماعي الماثل في الطبقة الصارخة؛ حيث أراضى الإقطاعيين الممثلة في "حامد" بيه ووالد حسن، يعمل بها (الأوجارية) من أمثال "زينب" وعائلتها وإبراهيم مقابل الفئات من المال، بالإضافة إلى الاستغلال المستمر من طبقة الإقطاع^(١) للطبقة الفقيرة، والذي تمثّل في اختيار عائلة "حسن" لزينب الفقيرة؛ حتى يكون الزواج تقريباً بلا مقابل وغير مكلف، وحتى تكون الفتاة بمثابة خادمة للعائلة لا أكثر.



طرح الفيلم الأنواع المختلفة للإقطاع في ذلك الوقت؛ فكان حامد بيه نموذجاً للإقطاع المستنير الإنساني المحب للخير والمتواضع، بينما مثّلت عائلة حسن النموذج المقابل للإقطاع المستغل والمحسوب لكل شيء من أجل مصلحته ،

(١) - نظام اجتماعي وسياسي واقتصادي يمثل في طبقة كبار ملاك الأراضي الذين يتحكمون في الفلاحين الذين يعملون في أراضي النبلاء وكبار الملاك.

بالإضافة إلى الغياب التام للاستنارة والثقافة في سلوكه، والذي وصل به الحال إلى رفض علاج زينب زوجة الابن وذلك لغلاء العلاج.

بدا الفيلم إلى حد كبير بسيطاً في صورة قصة حب أولية، ولكن ربما بقصد أو من دون قصد، تناول الكاتبان محمد كريم وعبدالوارث عسر، الثورة الداخلية في هذا المجتمع الضيق، المستعرة في داخله وكيف أن التحاق أبنائه من أمثلة إبراهيم بصفوف الجيش المصري، هو الخلاص له في نهاية الأمر... حيث عاد "إبراهيم" إلى قريته بزِيّه العسكري؛ مختلفاً تماماً عما كان عليه من قبل، من فقر وخنوع ويأس... فهو الآن يمثل الشعب المصري كله، ولذا يثار لزينب مصر ضحية الإقطاع، ويصرّ على علاجها رغم أنف الإقطاع المستغل.

من المشاهد المؤثرة في الفيلم... مشهد عودة إبراهيم إلى منزل عائلة زوج زينب، وكيف كان الحوار الدائر ساخناً حول ضرورة علاج زينب في المستشفى من مرض السل... لينتهي عبدالوارث عسر الحوار بجملته أشبه بالمثل الشعبي وقتها: "اللي مالوش أهل الحكومة أهله".

أخيراً.. هل كان المخرج "محمد كريم"^(١) يقصد تلك الأبعاد السياسية والاجتماعية المركبة في إعادة إنتاجه لفيلم، تنبأ وأطلق إرهابات مبكرة لتدخل الجيش المصري لإصلاح تلك الأوضاع المختلة في الريف المصري؟ لا أحد يعلم، ولكن يبقى هذا الفيلم الكلاسيكي إرهاباً فنية لما انتهت إليه الأحداث السياسية في تاريخ مصر المعاصر.



(١) - مخرج مصري بدأ حياته ممثلاً (١٨٩٦ - ١٩٧٢ م).

الحرام...

ومأساة فلاحى الترحيلة

يعتبر فيلم "الحرام" من أكثر أفلام ما بعد ثورة يوليو تعبيراً عن طبيعة الريف المصري، وكيف كانت حياة الطبقة العاملة فيه.

الفيلم عن قصة المبدع "د. يوسف إدريس" ^(١) وسيناريو وحوار "سعد الدين وهبة"، وإخراج "هنري بركات"، ومن إنتاج الدولة عام ١٩٦٥.



(١) (١٩٢٧-١٩٩١م)، طيب وكاتب قصصي، مسرحي، وروائي مصري.

تبدأ أحداث الفيلم بالعثور على رضيع لقيط مقتول في إحدى وِسيّات الباشوات، وبعد البحث والتحري يتبين أن اللقيط المقتول هو ابن لإحدى نساء الترحيلة، والتي اضطرت لقتله بعد الولادة؛ لأنه ابن غير شرعي لواقعة اغتصاب حدثت لامرأة في أحد الغيطان أثناء بحثها عن البطاطا لإطعام زوجها المريض.

يناقش الفيلم طبيعة حياة فلاحي الترحيلة (الغرابوة)، والذين كانوا يُجلبون من القرى البعيدة للعمل في وِسيّات وأراضي كبار الإقطاعيين في ذلك الوقت؛ حيث يعملون في ظروف غير آدمية بالمرّة، بشكل أشبه بالسخرة مقابل الفتات من المال.

يوضّح الفيلم أيضاً كيف كان يُنظر إلى تلك الطبقة بنظرة ازدراء من أهل الوِسيّة "التفتيش"؛ حيث ينعتونهم بأسوأ الألفاظ والصفات.

قامت الفنانة القديرة "فاتن حمامة" بأداء دور المرأة البائسة بكل براعة واقتدار؛ حيث عبّرت بشكل دقيق عن الفلاحة المصرية الفقيرة المكلومة، والتي تفقد كل شيء بسبب أنها كانت تبحث عن الطعام لزوجها.



كان ناظر التفتيش الفنان "زكي رستم"^(١) هو البطل الحقيقي للفيلم؛ حيث عبّر بكل دقة عن الموظف المصري الذي يخدم أسياده الباشوات في غيابهم بكل أمانة، ولكن في نفس الوقت تتنازعه إنسانيته تجاه تلك المرأة المأزومة.

كان لصوت الراوي الرخيم للفنان الكبير "حسين رياض"^(٢) الذي صاحب هذه المشاهد عند بداية الفيلم، الدور الحيوي في التمهيد لتلك القصة المأساوية، وكيف أنه كان أشبه بالقاضي، والذي أطلق رؤيته في بداية الفيلم ليوضح مدى تحكم تلك العادات والتقاليد والأوضاع الاقتصادية البائسة في هذا الريف البائس.

من أكثر المشاهد المميزة في الفيلم - وإن كانت بسيطةً للغاية ولكنها عميقة في نفس الوقت، هو مشهد الحوار الدائر بين أهل الترحيلة وأهل التفتيش أثناء الليل، وكيف بدأوا يكتشفون أنهم جميعهم سواءٌ في الهمّ والشقاء في الوسيّة، وأن النظرة السلبية المحيطة بالترحيلة ما هي إلا أكاذيب؛ فجميعهم يفلحون أرض الإقطاعيين دون أي فرق بينهم، من خلال هذا المشهد ناقش الكاتب المعنى الأسمى وهو: "الآخر" في الوعي الإنساني، وكيف أن البشر يختلفون القصص والأكاذيب عن الآخر لمجرد أنهم مختلفون عنه، بينما في الحقيقة أن احتواء هذا الآخر وتفهمه وإدراك الواقع الإنساني له، يسهّل مهمة التواصل معه، ويكشف مدى كثرة المشتركات بين البشر وبعضهم البعض.

أراد الكاتب "يوسف إدريس" في قصته أن يؤكد أن وفاة اللقيط لم تكن بسبب خطيئة الفلاحة؛ بل بسبب خطيئة مجتمع بأكمله؛ حيث كانت القرية المصرية فيه تعج بالفقر والجهل والشقاء.

(١) (١٩٠٣-١٩٧٢م)، ممثل مصري، يعتبر من أهم ممثلي السينما المصرية.

(٢) (١٨٩٧-١٩٦٥م)، ممثل مصري، يعتبر من أهم رواد السينما المصرية.

"الحرام" والذي أراد طرحه الفيلم والقصة من ورائه، هو الخطيئة الاجتماعية لهذا المجتمع، والذي جعل تلك المرأة ومن تنتمي إليهم من عمال التراحيل، في قاع السلم الطبقي لتلك القرية البائسة، بينما كان ذلك "الحرام" الذي وقعت فيه البطلة ضحيةً الاغتصاب، ما هو إلا عرض متوقع لتلك الأوضاع المختلفة لذلك المجتمع المضطرب.

كانت جملة "جدر البطاطا هو السبب" والتي رددتها البطلة وهي تعاني من الحمى؛ كاشفةً للسبب الرئيسي في شقاء البطلة؛ حيث الجوع والفقر هما الحرام الحقيقي، والذي يجعل هؤلاء الفلاحين البؤساء ضحيةً لواقع مريع ومؤلم، ولتخلد تلك الجملة في هذا العمل الرائع.



والشعبى.



(١) (١٩٢٦-٢٠٠٨م)، مخرج سينمائي مصري عالمي، معروف بأعماله العميقة والمثيرة للجدل.

من تلك الأفلام، والتي نجح فيها "شاهين" في الجمع بين الجودة الفنية العالية والبساطة التي قرّبت العمل من الجمهور، فيلم "الأرض"، والذي يعتبر أحد ملاحم السينما المصرية ودرّة تاجها؛ حيث استحق بحق الترتيب الثاني في أفضل الأفلام المصرية في المئة سنة الماضية.

الفيلم تم إنتاجه بواسطة المؤسسة العامة للسينما عام ١٩٧٠ عن رواية الأديب "عبدالرحمن الشرقاوي"، والتي حملت نفس الاسم وصدرت عام ١٩٥٤، والفيلم سيناريو وحوار "حسن فؤاد"، وموسيقى "علي إسماعيل"^(١) وبطولة نخبة من فناني السينما المصرية وعلى رأسهم: "محمود المليجي" و"يحيى شاهين" و"عزت العلايلي" و"عبدالرحمن الخميسي" و"حمدي أحمد" و"علي الشريف" و"نجوى إبراهيم".

تدور أحداث الفيلم حول إحدى القرى المصرية، والتي يصدر لها قرار من الري لتقليل مدة ري أراضي الفلاحين، وبدورهم يجتمعون لبحث الموضوع وعلى رأسهم: "محمد أبوسويلم" الثوري السابق، والذي يتبنى فكرة المواجهة مع السلطة، بينما يؤثر الباقون السلامة ويقررون كتابة عريضة للحكومة، وهنا يطلب منهم "محمود بيه" أحد أركان الإقطاع، أن يوقعوا على عريضة فارغة ليقوم باستغلالها بالتدليس في الحصول على الموافقة على إنشاء طريق زراعي على أراضي الفلاحين من دون علمهم.

وهنا تعلم القرية بما حدث وتقرر التصدي للطريق، ولكن ينتهي الحال بتخاذل الكثيرين وعلى رأسهم: "الشيخ حسونة" الذي يؤثر السلامة بعد أن تركت أرضه خارج الطريق؛ ليتصدى "محمد أبوسويلم" وحيداً أمام السلطة ويسحل بواسطة المأمور المتحالف مع الإقطاع، في مشهد نهاية مؤلم.

(١) (١٩٢٢-١٩٧٤م) موسيقار مصري شهير، تميز بالتأليف والتوزيع الموسيقي، له الكثير من الأعمال في الإذاعة والسينما والمسرح.

الفيلم والقصة تناولا ببراءة شكل الريف المصري في ثلاثينيات القرن الماضي، وشرح العمل من خلال الشخصيات بمقطع عرضي واسع، شكل الطبقات المشكّلة للريف المصري وقتها؛ حيث مثل "محمد أبوسويلم" و"عبدالهادي" و"وصيفة" و"دياب" طبقة الفلاحين البسطاء، ومثل الشيخ "حسونة" و"محمد أفندي" أصحاب الياقات البيضاء من متعلمي القرى، ومثل العمدة وشيخ البلد والمأمور السلطة المصرية وقتها، والتي تحالفت بشكل عضوي مع "محمود بك" الإقطاعي، والذي لم يرَ في القرية إلا مصالحه؛ حتى ولو كانت على حساب مياه الري وأراضي الفلاحين.

ناقش الفيلم بوضوح فكرة الاستغلال الطبقي بشكلها الأوسع... فالإقطاعي يستغل العمدة والمأمور لفرض سطوته، ويستغل أيضاً متعلمي القرية من الشيخ "حسونة" و"محمد" أفندي ليخدع بهما الفلاحين البسطاء الأميين، وإمعاناً في الاستغلال؛ فالمتعلم "محمد" أفندي يستغل أخاه الفلاح البسيط "دياب" ويتعامل معه بتعالٍ غير مبرّر؛ لنجد أن القرية المصرية وقتها تعيش في دائرة مغلقة من الاستغلال المستمر.

طرح الفيلم فكرة الثورة وارتباطها بالوعي ف"محمد أبوسويلم" رمز المقاومة الأشهر في القرية، والذي تصدى من قبل للإنجليز في ثورة ١٩، مازال على عهده غير القابل للخضوع والانحناء والتطويع، ويتبنى نهجه "عبدالهادي" الشاب الثائر أيضاً.

أيضاً، طرح الفيلم فكرة الوعي وأنه غير مرتبط بالتعليم؛ فمتعلمو القرية وعلى رأسهم "محمد" أفندي، كانوا السبب في فشل الثورة وضياع الأرض، على عكس ما هو متوقع، بينما تصدى الفلاح البسيط "محمد أبوسويلم" بكل شراسة وثبات؛ نظراً لوعيه وإيمانه بالتصدي للظلم والطغيان.



أوضح الفيلم التشققات البنيوية داخل السلطة وقتها، وكان أكبر مثال لها هو رفض المهجانة^(١) السودانيين قمع الفلاحين، وقيام رئيسهم بضرب المأمور نفسه تعاطفاً مع الفلاحين؛ إيماناً منهم أن هذا ليس دورهم، وتأكيذاً للارتباط العضوي لأبناء وادي النيل.

الفيلم يحمل الكثير والكثير من المشاهد المعبرة من أمثلة تلك المشاهد، مشهد تكاتف أهل القرية لإنقاذ البقرة، ومشهد النهاية الملحمي لسحل "محمد أبوسويلم"، ولكن من أكثر المشاهد والتي علق في ذهني، هو مشهد حلق شنب "محمد أبوسويلم" في السجن، والذي كان هدفه كسر شوكة هذا الرجل الثائر، ومشهد سير "دياب" على الأرض حافياً بجانب أخيه "محمد" أفندي، والذي كان يركب حماره دون أن يكثرث لأخيه الذي يئن من حرارة الأرض تحت قدميه.

(١) راكبو الجمال من الجنود، وهو جزء من سلاح خفر الحدود.

كان اكتشاف واختيار "يوسف شاهين" للفنان "علي الشريف" إضافة حقيقية للسينما المصرية، والذي كان مبدعاً إلى أعلى حد في تجسيده لدور الفلاح المصري البسيط المثابر، والذي يتمتع بالقوة العضلية الواضحة والسذاجة وطيبة القلب.

اختار "يوسف شاهين" الفنانين بعناية ليخدم هدفه؛ فكان "محمود بك" ذا ملامح أوروبية دخيلة، بينما كان الفلاحون جميعهم من ذوي الملامح المصرية الأصيلة؛ يؤكد على فكرة الاحتلال الأجنبي ودعم تلك الفكرة بتكرار مشاهد المظاهرات المنددة بالاحتلال الإنجليزي وتداخلها مع مشاهد تعذيب الفلاحين داخل السجون في نفس التوقيت.

وأخيراً... إن فيلم "الأرض" عبّر بكل دقة عن واقع مأزوم للقرية المصرية في العهد الملكي؛ حيث تحالفت السلطة مع الإقطاع وأنصاف متعلمي القرى ضد الفلاح المصري.

رمز الفيلم للمستقبل بالطفل المتعلم الذي بدأ به الفيلم، والذي قدّم هدية لـ "وصيفة"، والتي رمز بها الشرقاوي لمصر؛ متنبئاً بمستقبل مشرق للوطن على يد هذا الطفل الذي ربما يمكنه تعليمه من إدراك واقع قريته ووطنه بشكل أكثر وعياً وإثارةً.



الزوجة الثانية...

جدارية واقع الريف المصري

في أحد البرامج التلفزيونية وفي إحدى مقابلات الفنان الراحل "نور الشريف"، قال عبارة لافتة تستحق الانتباه عن أهمية السينما في الواقع الإنساني، وكانت العبارة كالآتي: السينما في رأيي هي في أهمية الآثار، وربما أهم، وذلك لأنها بكل بساطة توثق الواقع في زمن ومكان معين بشخصه وتفصيل الحياة فيه بشكل دقيق، يجعل الأجيال القادمة تستطيع أن ترى الحياة على حقيقتها بشكل كامل في ذلك الزمان والمكان بطريقة، لا تستطيع الآثار أن تقدمها للأجيال التالية.

تنطبق تلك العبارة العميقة بشكل كامل على فيلم "الزوجة الثانية"، والذي يُعتبر من علامات السينما المصرية الخالدة... الفيلم عن رواية الأديب والصحفي اليساري الراحل "أحمد رشدي صالح"^(١) والتي صدرت في عام ١٩٥٥، وأُنْتُجَت كفيلم بواسطة "رمسيس نجيب" عام ١٩٦٧، وأخرجها للسينما رائد الواقعية المصرية "صلاح أبوسيف"، وسيناريو "محمد مصطفى سامي" و"سعد الدين وهبة" و"صلاح أبوسيف"، وحوار "محمد مصطفى سامي"، وبطولة النجوم: صلاح منصور، وسناء جميل، وسعاد حسني، وشكري سرحان، وعبد المنعم إبراهيم، وحسن البارودي.

تدور أحداث الفيلم في إطار من الكوميديا السوداء حول عمدة إحدى القرى في الريف المصري "عثمان"، والذي يحلُم بإنجاب ابن يرثه، ولكن زوجته لا تنجب؛

(١) (١٩٢٠-١٩٨٠م) صحفي مصري وناقد أدبي.

فيطمع في خادمته ويجبر زوجها العامل على تطليقها ويتزوجها عُنة عن طريق التهديد بتلفيق تهمة له، ولكنها تنجح في إبعاده عنها لتستمر علاقتها بزوجها، وينتهي الفيلم بإصابة العمدة بالشلل متأثراً بعلمه بحملها؛ ليُتوفى وتعود الزوجة المجبرة إلى زوجها.



يتناول الفيلم -المأخوذ عن رواية كاتب ينتمي بعمق لريف محافظة المنيا- الريف المصري وواقعه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي قبل الثورة، بكل دقة وبأسلوب السهل الممتنع؛ حيث يرسم بريشة أديب مشبّع بكل تفاصيل الريف، يرسم الكاتب والفيلم لوحة فنية بالغة الحنكة لقرية، يظهر على السطح أنها هائلة ومستقرة، بينما في

الواقع هي تحمل منظومة بالغة القسوة من الظلم والقهر؛ حيث يمثل العمدة المتجبر قمة المنظومة السياسية، والذي تتجمع في يده كل خيوط تلك القرية؛ فهو يمنع ويمنح ويستغل أهل قريته لابتزازهم والحصول بالإجبار على أملاكهم من أراضي وأملاك؛ وصولاً إلى طيور امرأة مسكينة عن طريق تهديدها بإرسال ابنها الطفل إلى الجهادية... وحيث كانت سلطة العمدة مطلقة؛ فقد وصل به التجبر إلى درجة إجبار زوج على تطليق زوجته كي يشبع شهوته منها دون أي اعتبار لدين أو عرف أو تقليد... مثل العمدة والمأمور الفاسد والشيخ المنافق العطار المبروك ثلاثي السلطة؛ حيث المنصب السياسي والقانون والدين، والذين تحالفوا على قهر تلك القرية وزيادة ثروة العمدة، الذي لم يكتف بما يملك من مئات الأفدنة (قبل تطبيق قانون الإصلاح الزراعي)^(١) ليستولي على أراضي الفلاحين البسطاء بنفس الثالث الفاسد؛ لتضحى الآلة القرآنية والتي تدعو المؤمنين إلى إطاعة أولي الأمر، وسيلةً يستغلها العمدة للسيطرة والسلطة بشكل منافٍ تماماً لمعنى الآية الكريمة.

بدأ الفيلم بصندوق الدنيا؛ ليؤكد للمشاهد أن تلك القصة متكررة ودرامية في نفس الوقت؛ ليحكي لنا القصة الرواية بصوت الفنان شفيق نورالدين، والتي عبرت عن فحوى العمل كمقدمة للعمل؛ حيث جاء فيها: (آدي الفلاحة التفاحة... اللي في الغيط وفي بيوت الناس كداحة... اسمها فاطمة تحبز إردب عشر قطعة... وآدي الفلاح يا وله... اللي اسمه أبو العلا يزرع أرض الغير... ولا ينوبه من الخير حبة ولا خردلة... وآدي الست حفيظة على خزائنها حفيظة... وآدي عثمان العمدة البائس، ثروته على ثروتها وراقده... والاتنين نازلين سف في سف بس بيضربوا كف في كف علشان ما معاهمش العيل اللي في الأموال بيكيل).

(١) قانون ينص على تحديد الملكية الزراعية للأفراد، وأخذ الأرض من كبار الملاك وتوزيعها على صغار الفلاحين المعدمين، صدر عام ١٩٥٢.

ظهرت المشاهد في البداية بشكل الرسوم الكاريكاتيرية، والتي كانت بداية مستحدثة على هذا النوع من أفلام الريف المصري... كان الحوار في أعلى درجاته من التمكن والنضج، مع تمكن تام من الفنانين وبالأخص الفنان صلاح منصور والفنانة سناء جميل، واللذين صارت عبارتهما (الليلة يا عمدة، وهي حبكت الليلة) محفورة في تاريخ السينما على مرّ الزمن.

ظهرت في الفيلم بعض المشاهد التي عبّرت عن أحداث أَلّت بالريف المصري، كانتشار مرض الملاريا، وأيضاً مشاهد عبّرت عن درجة الجهل والتخلف الذي كان يستشري في أرجائه، من أمثلة العلاج الشعبي والمشاهدة لعلاج العقم والوصفات الطبية الشعبية، والتي للأسف مازالت حتى اليوم موجودة بالريف المصري.

كانت الموسيقى التصويرية المعبرة لفؤاد الظاهري، والتي استخدمت الدفوف القريبة من طبيعة الريف، من عوامل نجاح الفيلم بالإضافة إلى الكادرات التصويرية المبتكرة لعبدالحليم نصر^(١) من أمثلة مشهد حديث العمدة وفاطمة أسفل البقرة، ونظرات العمدة وحفيظة لسبوع ابن الأخ من خلال الثقب في الحائط، والتي كانت غريبة وجديدة على المشاهد المصري.

تمكن المخرج بحنكة من استخدام أدوات سينمائية عديدة أضافت إلى قوة الفيلم ونجاحه، من أمثلة المزاوجة بين واقع الفيلم وحكاية الأراجوز و صندوق الدنيا وقصة الفيلم في البداية، بالإضافة إلى تصوير الفيلم بشكل شبه كامل في إحدى قرى القليوبية^(٢) مما أضاف واقعيةً بالغّة للعمل.

(١) (١٩١٣-١٩٨٩م) من أشهر مديري التصوير في تاريخ السينما المصرية.

(٢) إحدى محافظات مصر وعاصمتها بنها، وتقع بمنطقة شرق النيل عند رأس الدلتا شمال القاهرة.



كان مشهد قهر الزوج وإجباره على تطليق الزوجة، بالإضافة إلى مشهد كيفية تليفق التهمة له، من أبلغ المشاهد تعبيراً عن مضمون العمل، من حيث التعبير عما تموج به القرية المصرية في ذلك العهد من ظلم وقهر اجتماعي، ومع هذا فقد تنبأ الفيلم بأن هذا الواقع لن يدوم؛ فالعمدة المتجبر عقيم لا ينجب، بينما المظلوم أبوالعلا كثير الإنجاب؛ ليؤكد أن المستقبل للبسطاء من الفلاحين، وليس للظالم مكان في المستقبل.



صراع في الوادي...

وتوثيق حال الصعيد... قبل يوليو

طوال تاريخ السينما المصرية، كانت قليلةً تلك الأفلام التي تناولت الصعيد المصري بشكل عميق ومفصّل، وتم ترك هذا الدور عن عمد أو غير عمد للدراما التلفزيونية، والتي اضطلعت بهذا الدور بديلاً عن السينما، وليضحى صعيد مصر شبه معزول عن السينما، ولتصير قضاياها الحقيقية خفيةً ومجهولة للمشاهد المصري والعربي.



من تلك الأفلام القليلة التي تناولت الصعيد المصري في فترة ما بعد قيام ثورة

يوليو، فيلم: صراع في الوادي، والذي دارت أحداثه في أشهر مدن الصعيد في ذلك الوقت، وهي مدينة الأقصر^(١) الأثرية.

من أهم مميزات هذا الفيلم، أن معظم مشاهد وأحداثه تم تصويرها في تلك المدينة؛ ليتحول الفيلم إلى وثيقة مرئية توضح كيف كانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في صعيد مصر.

الفيلم تم إنتاجه عام ١٩٥٤ بواسطة المخرج جبرائيل تلحمي، والذي أنتج الفيلم بميزانية ضخمة وصلت وقتها إلى ٨٠٠٠٠ جنيه، والذي كان مبلغاً كبيراً للغاية في هذا الوقت، ومن إخراج المخرج الكبير يوسف شاهين، وبطولة نخبة من فناني هذا الوقت، على رأسهم: الفنان عمر الشريف، والذي كان وجهاً جديداً وقتها، والفنانة فاتن حمامة، وزكي رستم، وفريد شوقي، وعبدالوارث عسر، وحمدى غيث، وعن قصة الكاتب حلمي حليم.

تدور أحداث الفيلم حول المهندس الزراعي أحمد ابن ناظر الزراعة لأراضي الباشا، يعود إلى قريته في جنوب الوادي؛ فينجح في تحسين زراعة القصب في أراضي الفلاحين؛ مما يؤدي إلى غضب الباشا^(٢) عليه؛ لأنه يحتكر تصدير القصب إلى مصنع السكر؛ فيأمر ابن أخيه رياض بأن يغرق أراضي الفلاحين بماء النيل، ويستغل الباشا خلافاً ينشأ بين الشيخ عبدالصمد والناظر؛ فيطلق رياض النار على الشيخ ويلقى التهمة لناظر العزبة؛ لبدأ الابن أحمد في البحث عن الحقيقة بمساعدة ابنة الباشا آمال، وأثناء ذلك تتم مطاردة أحمد بواسطة سليم ابن الشيخ لثأر لوالده.

(١)- مدينة سياحية عالمية تقع في جنوب وادي النيل.

(٢)- لقب يمنح من قبل الملك إلى شخصيات رفيعة من عليّة القوم وولاتهم وكبار موظفي الدولة.

تناول الفيلم العلاقة المركبة والواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بين أطراف الحياة الاجتماعية في صعيد مصر في ذلك الوقت، والذي كان يتمثل في طبقة عريضة من الفلاحين البسطاء، وطبقة صغيرة من أنصاف المتعلمين من أمثلة الناظر والشيخ والذين يقتصر تعليمهم على التعليم البسيط الأزهري، ويمثلون بشكل أو بآخر الطبقة المتوسطة الرقيقة في هذا المجتمع البعيد عن العاصمة، وعلى قمة ذلك الهرم الاجتماعي يتربع الباشا بالوضع الأهم؛ حيث إنه أكبر مالك للأراضي والذي قد يصل إلى حد امتلاك أراضٍ مترامية الأطراف تصل مدناً صعيدية ببعضها البعض... زراعة قصب السكر كما أوضح الفيلم كانت عصب الحياة الاقتصادي في الصعيد؛ حيث مصانع السكر^(١) المنتشرة في مدنه، وكيف أن سبب جرائم الباشا وتابعه رياض، كان الدافع الرئيسي فيها اقتصادياً بسبب جودة محصول الفلاحين، والذي هدد قدرة الباشا على بيع محصوله لشركة السكر.

استخدم المخرج يوسف شاهين طبيعة الأقصر الرائعة في تقوية الفيلم بشكل باهر؛ فكان ينتقل في الأحداث بين البر الغربي والشرقي للمدينة، ويتنقل بين معابد الأقصر والكرنك وطريق الكباش ووادي الملوك بالإضافة إلى النيل... كل ذلك جعل من مشاهد الفيلم أشبه بلوحات فنية مستغلاً طبيعة المدينة الأثرية الخلابة... وتقريباً كل مشاهد الفيلم قد تم تصويرها في الأقصر، ماعدا مشهد السجن ومشاهد قصر الباشا، والتي تم تصويرها في قصر الطاهرة الملكي بالقاهرة.

(١) - من أمثلة ذلك: مصنع سكر جرجا ونجع حمادي ودشنا وقوص وأرمنت وإدفو وكوم إلمبو.



تناول الفيلم العلاقات الإنسانية، والتي كانت تحكم فكر طبقة الباشوات في ذلك الوقت؛ حيث علاقة العبد والسيد، والتي تكررت كثيراً على لسان الباشا في صورة كلمة الأسياد ووصفه لتعاون ابن الناظر مع الفلاحين بنكران الجميل؛ بدلاً من اعتباره أنه تطور طبيعي مشروع لتلك الطبقة من الفلاحين... رمز المخرج للهوة بين الفلاحين والباشا، بأن حياة الفلاحين كانت في البر الغربي من النيل، بينما الباشا وأراضيه في البر الشرقي، وليكون النيل بمثابة فاصل كبير بينهما؛ فالفلاحون في بيوتهم الطينية البسيطة، بينما الباشا في قصره المهيّب.

لم يُغفل الفيلم الكثير من المظاهر المميزة للصعيد والأقصر، بالأخص من أمثلة الفرح الشعبي والعروس التي تمتطي الهودج على ظهر جمل، والتحطيب وبيوت الفلاحين المزروعة في قلب الجبل الغربي، والتي كانت موجودة حتى وقت قريب، بالإضافة إلى فكرة الثأر والتي لاتزال قائمة إلى وقتنا هذا.

كان التصوير من أهم أدوات المخرج وزواياه؛ خصوصاً في المطاردات والتي دارت في ساحات المعابد الأثرية؛ مما أضفى قوة وإثارة على العمل... كانت اللكنة الصعيدية هي الغالبة على الأبطال، ماعدا الباشا وابنته ورياض وأحمد، والتي توضح

كيف أن هؤلاء كانوا غرباء عن هذا المجتمع البعيد؛ فحتى أحمد ابن الصعيد، لم يسلم من الصهر القاهري أثناء دراسته في الجامعة.

استخدم يوسف شاهين الطفل نافع رمزاً كعادته، والذي كان يساعد أحمد على الهروب من ثأر سليم ببراءة الصعيد... فهذا الطفل الأسمر رغم براءته وصغر سنه، كان الشاهد الوحيد على كل تلك الأحداث، والمدرّك للحقيقة منذ البداية، ورمز أيضاً شاهين بهذا الطفل للمستقبل، والذي من المؤكد أنه قد خلا من ذلك الواقع المرير، والذي تحكمه تلك الطبقة الإقطاعية المتحكمة والنافذة في مصائر الناس في ذلك الوقت.





سينما المرأة المصرية



مراتي مدير عام...

عندما تسبق المرأة المصرية الرجال

يعتبر فيلم "مراتي مدير عام" من أكثر الأفلام التقدمية في تاريخ السينما المصرية، والتي تناول دور المرأة المصرية في الحياة العامة والمجتمع.

تدور أحداث الفيلم في إطار كوميدي حول "عصمت" المرأة الطموح، والتي تحصل على شهادة أعلى من زوجها "حسين"؛ مما يجعلها تترقى في الوظائف القيادية حتى تصبح مديرة لقسم الإنشاءات الذي يعمل به زوجها في ذات الوقت.



في البداية يخفيان ذلك عن زملائهما في العمل؛ احتراماً لكرامة زوجها ولكن نظراً لتعرضهما للعديد من المشاكل داخل العمل وتعرضهما للشائعات، يعلنان حقيقة زواجهما، ويطلب الزوج نقله لمصلحة أخرى.

يشعر الزملاء بخطئهم في حق الزوجين ويتمسكون بقيادة "عصمت" لهم، ويعود الزوج ليقبل في النهاية العمل تحت قيادة الزوجة.

الفيلم من إخراج رائد الكوميديا المصرية "فطين عبدالوهاب"^(١)، وعن قصة "عبدالحاميد جودة السحار"^(٢). وسيناريو المبدع "سعد الدين وهبة"، وإنتاج الدولة المصرية، كل هؤلاء تكاتفوا من أجل إظهار عمل يعبر عن شخصية المرأة المصرية الحديثة، والتي انتقلت من الصفوف الخلفية خلف الرجل لتحتل مقدمة العمل الحكومي المصري.

أظهر الفيلم وأحداثه الكوميدية ردّ فعل المجتمع المصري وقتها في هذا الوضع الجديد؛ ممثلاً في مجموعة الموظفين "زملاء المديرية في العمل" والذين تتنوع شخصياتهم، ما بين المنافق، والمتزمت دينياً، والمراهق، والجاد، كل هؤلاء استطاعت المديرية قيادتهم في تناعم وتمكّن، بعد أن حققت النجاح لإدارتها ومجتمعها.

أظهر الفيلم الصورة المعتدلة والصحيحة للمرأة العاملة؛ فـ "عصمت" المديرية الجادة الملتزمة شكلاً وخلقاً في العمل، بينما تختلف تماماً عن "عصمت" الزوجة المرحّة، المتألّقة في المنزل لزوجها.

يتنصر الفيلم ودولة يوليو للمرأة العاملة المتعلمة، والتي مكنتها الثورة ونظامها

(١) (١٩١٣-١٩٧٢م)، مخرج مصري شهير تميز في إخراج الأفلام الكوميدية.

(٢) أديب وروائي وكاتب قصة وسيناريست مصري، (١٩١٣-١٩٧٤م)، أسند إليه منصب رئيس تحرير مجلة السينما عام ١٩٧٣م.

السياسي من الوقوف على قدم المساواة مع الرجل؛ فالمرأة هي التي ستنتج الأجيال القادمة، وتتغير صورة المرأة المصرية من إطار "أمينة" في ثلاثية نجيب محفوظ^(١) والتي تعبر عن العهد الملكي، وتستبدل بها "عصمت" المديرة، والتي تعبر عن العهد الثوري الناصري.



من أكثر مشاهد الفيلم تعبيراً عن مضمونه، لحظة إخبار الزوج لزملائه في العمل عن سبب تواجده في منزل المديرة، وكيف كان البعض منهم متلهفاً لمعرفة السبب؛ خصوصاً الفنان "توفيق الدقن"؛ لتتغير ملاحظتهم وجوماً عندما يخبرهم بأنه زوجها.

في عام ٢٠٠٧ أُنتج فيلم مصري باسم "تيمور وشفيفة"، تدور أحداثه حول "تيمور" ضابط الحراسات الذي يكلف بحراسة خطيبته "شفيفة" الوزيرة، وكيف أنه في النهاية سيجعلها تتخلى عن الوزارة، وذلك حتى يتسنى لهما الارتباط.

كان الفيلم تقريباً هو المضاد لفيلم "مراقي مدير عام"، أظهر مدى تدهور الفكر المصري من الستينيات إلى القرن الواحد والعشرين، وأصبح أكثر رجعية وانغلاقاً؛

(١) نجيب محفوظ عبدالعزيز إبراهيم أحمد الباشا: (١٩١١-٢٠٠٦م)، والمعروف باسمه الأدبي "نجيب محفوظ"، هو روائي وكاتب مصري، يعد أول أديب عربي حائز على جائزة نوبل في الأدب.

فبينما قبل الزوج في الستينيات بعمل زوجته ورضاؤه بقيادتها له، رفض ابن الألفية الجديدة ذلك، وأقنع حبيبته أن تترك أعلى منصب تنفيذي يمكن أن تصل إليه امرأة مصرية، من أجل إرضاء غروره وذكوريته الرجعية.

وفي النهاية... إن فيلم "مراقي مدير عام" هو تدشين لعهد جديد للمرأة المصرية، تخترق فيه صفوف الرجال وتسبقهم؛ متصدرةً كافة القطاعات في الدولة المصرية في عهد يوليو.



أنا حرة...

عندما تنثور الفتاة المصرية على واقعها

صاحبَ فترةٍ ما بعد ثورة يوليو إنتاجُ العديد من الأفلام، والتي تناول واقع المرأة المصرية، وكيف كان انتقال المرأة المصرية من الصفوف الخلفية إلى الصفوف الأمامية في المجتمع، الذي كان يموج بكافة صنوف التغيّر الطبقي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

من تلك الأفلام والتي ناقشت هذا التغيّر، فيلم "أنا حرة" عن رواية الأديب "إحسان عبدالقدوس"، والتي صدرت عام ١٩٥٤؛ أي بعد قيام ثورة يوليو بعامين تقريباً.



الفيلم تم إنتاجه عام ١٩٥٩، وأخرجه "صلاح أبوسيف"^(١) وكتب السيناريو له "نجيب محفوظ"، وكتب الحوار له الفنان "سيد بدير"، وأنتجه "رمسيس نجيب"، وكانت البطولة للفنانة الصاعدة وقتها "بنى عبدالعزيز"^(٢) والفنان "شكري سرحان": مع الفنانين: "حسين رياض" و"زوزو نبيل" و"محمد عبدالقدوس".

تدور أحداث الفيلم حول الفتاة "أمينة" بنت حي العباسية المحافظ، والتي تعيش مع عمتها وزوجها بعد انفصال والديها، وتعيش في حالة من الصراع الأسري والصراع المجتمعي؛ ثائرة على التقاليد البالية؛ حتى تحصل على حريتها وتصر على إكمال تعليمها لتحصل فيما بعد على الشهادة الجامعية ثم على وظيفة مرموقة؛ حتى تلتقي بـ"عباس" جارها السابق في الحي، والذي يعمل بالصحافة، ويبدأ في تعليمها معنى الحرية الحقيقي، ويوضح لها أن الحرية ليست مطلقة وتحمل معاني أشمل من الخروج على قيود المجتمع، إلى المعنى الأوسع من حرية الفكر والتعبير وتحرر الوطن من الاستعمار؛ لتشارك معه "أمينة" في كفاحه السياسي، ويقبض عليهما بواسطة البوليس السياسي في العهد الملكي، ويسجن الاثنان ويقرران الزواج داخل أسوار السجن.

يتناول الفيلم حال المرأة المصرية قبل الثورة في ظل المجتمع المحافظ الذكوري، الذي يحجم دور المرأة ويقزمها ويمنع تقدمها وترقيتها في المجتمع، وفي حين مثلت "أمينة" الفتاة المصرية التقدمية، والتي تريد أن تلتحق بالصفوف الأمامية وقطار التعليم الجامعي، مثلت عمتها في الفيلم التضاد الكامل؛ فهي زوجة مطيعة خائفة بسيطة التعليم لا تؤمن بتعليم الفتيات، وتؤمن فقط بالمجتمع التقليدي وضوابطه الرجعية.

(١) (١٩١٥-١٩٩٦م) مخرج مصري، ويعتبر رائد الواقعية في السينما المصرية.

(٢) ممثلة مصرية مواليد ١٩٣٥م.

أوضح الكاتب بذكاء وتدريج الرحلة الفكرية للبطله، من الفتاة المراهقة الهوجاء، إلى الفتاة الجامعية الباحثة عن ذاتها، إلى الفتاة المتعلمة صاحبة الوظيفة والتي تبحث بنضج عن معنى الحرية الحقيقي غير الذاتي وغير اللاهني، وتجدته متمثلاً في الصحفي "عباس" الثائر الوطني المخلص.

طرح الفيلم أكثر من قضية في آن واحد من حال الطبقة المتوسطة المصرية، والتي كانت أسيرة القيود والعادات البالية، وحال المرأة المصرية قبل الثورة ضحية تلك العادات، وحال المجتمع ككل وتعامله مع المرأة في إطار رجعي محافظ.

استطاعت الفنانة القديرة الشابة وقتها "لبنى عبدالعزيز" تمثيل دور الفتاة المتمردة باقتدار وببساطة في نفس الوقت، بينما مثل الفنان "شكري سرحان" صوت العقل والفكر، بينما مثل الفنانان "حسين رياض" و"زوزو نبيل" المجتمع المحافظ الرجعي.



صدرت الرواية وأنتج الفيلم بعد قيام ثورة يوليو، في ضوء توجه عام للدولة وقتها، في الحرص على تعليم الفتيات المصريات، وألا يقتصر دورهن في المجتمع على دورهن داخل المنزل كزوجة وأم؛ بل أن يمتد دورها إلى المجتمع والدولة؛ لتقتحم

الصفوف وتصير مثلها مثل الرجل في كافة الحقوق والواجبات بلا تفرقة أو تمييز.

من المشاهد التي عبّرت عن التغيير الذي حدث للفتاة "أمينة" بسبب التعليم، هو مشهد زيارتها لبيت عمته القديم في حي العباسية، وكيف أن التعليم والوظيفة المرموقة قد جعلتا من أهل الحي وعمتها وزوجها في حالة إعجاب وانبهار واحترام لأمينة، التي كانوا في السابق دائمي الانتقاد لها ولسلوكها المتمرد.

أيضاً من أهم مشاهد الفيلم في رأيي المشهد الأخير؛ حيث تم عقد قران "أمينة" وعباس" داخل أسوار السجن؛ لتتحرر "أمينة" بشكل فعلي بالرغم من السجن، وتتحول إلى الطور النهائي والناضج؛ حيث النموذج التقدمي للمرأة المصرية المكافحة التي تسمو على حريتها الشخصية مقابل حرية وطنها.

وأخيراً... إن فيلم "أنا حرة" هو بمثابة بداية لدور مجتمعي واسع وجديد للمرأة المصرية في مجتمع ما بعد يوليو، ودعوة إلى كل فتاة مصرية وقتها للتقدم في السلم المجتمعي بجهدا وتعليمها؛ لتقف مع الرجل جنباً إلى جنب من أجل تقدم ورفعته مجتمعا ووطنها.



الباب المفتوح...

عندما يُفتح باب الحياة للمرأة المصرية

تمتع عصر ما بعد يوليو ببزوغ نجم العديد من الأفلام النسائية المصرية كمفكرات وأديبات وسياسيات، من هؤلاء: الأديبة المصرية والأستاذة الجامعية دكتورة "لطيفة الزيات"^(١)، والتي كان لها بالغ الأثر في الحركة النسائية المصرية في عهد ما بعد ثورة يوليو، والتي تطور فيها دور المرأة المصرية، ووصلت فيه بالتعليم والثقافة إلى أعلى المستويات الفكرية والثقافية والإدارية.



(١) (١٩٢٣-١٩٩٦م) روائية وناقدة، حازت على جائزة الدولة التقديرية للأدب لعام ١٩٩٦م.

من المؤلفات ذائعة الصيت للكاتبة "لطيفة الزيات" رواية "الباب المفتوح" والتي صدرت عام ١٩٦٠، والتي تحولت بعد صدورها إلى فيلم يحمل نفس الاسم، تم إنتاجه عام ١٩٦٣.

فيلم "الباب المفتوح" من إخراج "هنري بركات"^(١)، وبطولة الفنانة الكبيرة "فاتن حمامة" و"محمود مرسى" و"صالح سليم" و"شويكار".

تدور أحداث الفيلم حول الفتاة "ليلي" ابنة الطبقة المتوسطة، والتي تعيش تحت قيود المجتمع الرجعية، وتتمنى لو تشارك أختها محمود "محمود الحديني" في مقاومته للإنجليز ونشاطه السياسي؛ لتقع في حب ابن خالتها عصام "حسن يوسف" الذي سرعان ما تكتشف أنه عابث، لاه، نظرته للمرأة لا تختلف عن والدها المحافظ المتشدد؛ لتتعرف بعدها على صديق أخيها "حسين" والذي ترى فيه نموذج الشاب التقدمي المقاوم للاستعمار، والذي للأسف يتعد عنها لظروف بعثته إلى الخارج.

تستسلم "ليلي" إلى المجتمع وقيوده بالرغم من التحاقها بالجامعة؛ حتى كادت أن تتزوج شخصاً رجعيّاً آخر لولا وقوع العدوان الثلاثي^(٢)، لتترك القاهرة وتنتقل إلى صفوف المقاومة مع حبيبها السابق "حسين"؛ لتسافر معه إلى بورسعيد ضاربةً بالمجتمع وقيوده وتحفظاته عرض الحائط.

يناقش الفيلم قضية تحرر المرأة المصرية الاجتماعي والسياسي، وكيف أن الحراك الطبقي الذي حدث فيما بعد يوليو، كان شاملاً لكافة أوجه المجتمع بما فيها المرأة

(١) (١٩١٤-١٩٩٧) مخرج مصري من أصل لبناني، ومن أكثر المخرجين إنتاجاً للأعمال السينمائية.

(٢) العدوان الثلاثي أو حرب ١٩٥٦ كما تُعرف في مصر والدول العربية، أو أزمة السويس أو حرب السويس كما تُعرف في الدول الغربية، هي حرب شنتها كلٌّ من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر عام ١٩٥٦.

المصرية ودورها في المجتمع الجديد، بالإضافة إلى وصف دقيق لما كانت عليه المرأة المصرية في نهايات العصر الملكي؛ حيث بنات الطبقة المتوسطة واللاتي، بالرغم من التحاقهن بالتعليم الأساسي والجامعي، إلا أن ذلك لم يجعل ذلك المجتمع مضطراً إلى تغيير نظرتة إلى المرأة ودورها في الحياة المصرية.

حاولت "ليل" أن تثور مبكراً؛ حتى تكسر تلك القيود الاجتماعية بالخروج في إحدى المظاهرات المنددة بالاحتلال الإنجليزي، ولكن سرعان ما تُعاقب على ذلك بضررها بالخداء، وكان هذا المشهد ممثلاً لمدى التعامل المهين مع الفتاة المصرية في ذلك العهد.

حاولت "ليل" مرة أخرى كسر قيودها عندما ارتبطت عاطفياً بابن خالتها، والذي اكتشفت فيما بعد أنه مثل معظم رجال عصره، لا يرى في المرأة إلا متعة وشهوة.



كان النموذج الوحيد الذي قابلته "ليل" والذي مثل لها تطلعاتها، هو "حسين" الفدائي السابق والمبعوث إلى ألمانيا للتعليم والدراسة، ونظراً لظروف سفره وخوفها من تكرار التجربة، يبتعد كلٌ منهما عن الآخر؛ لتدخل الجامعة وتتعرف على "فؤاد" أستاذها في الجامعة والذي يخطبها وتتركه في النهاية؛ حيث المحاولة النهائية لكسر القيد

المجتمعي؛ حيث تسافر مع "حسين" إلى الخطوط الأمامية في بورسعيد حيث العدوان الثلاثي.

مثل الأب في حياة ليلي النموذج القديم للرجعية المجتمعية، ومثل "عصام" النموذج الشبابي لتلك الرجعية المشوبة بالنظرة المتدنية للمرأة، بينما مثل "فؤاد" الرجعية الرجولية الخالصة، والتي لا ترى في المرأة إلا خادمة لزوجها بصورة لا تسمح لها بالوقوف على قدم المساواة مع الرجال.

كان "محمود" الأخ، و"حسين" الحبيب، النموذج الأمثل للشباب المصري التقدمي، المقاوم والفدائي الذي لم يتوان عن الدفاع عن وطنه في أي وقت وفي أي عهد.

طرح الفيلم بنضج قضية القيود المحيطة بالمرأة المصرية، من قيود اجتماعية وتعليمية وقيود المشاركة في الكفاح السياسي، وذلك هو أسمى أنواع التجرد، وكيف يتماثل هدف الخروج من تلك القيود مع أهداف ثورة يوليو، التي تبنت المرأة المصرية وأتاحت لها فرص التعلم والترقي في المجتمع.

من أهم مشاهد الفيلم مشهد النهاية؛ حيث كانت "ليلي" وعائلتها وخطيبها "فؤاد" في محطة القطار، وكيف اختلفت نظرتها كلياً عن نظرة عائلتها و"فؤاد"؛ فقد هالها منظر جرحى ومصابي العدوان، بينما لم تشعر عائلتها أو يشعر خطيبها بأية درجة من التعاطف ضد العدوان؛ لينتهي المشهد بفسخها لخطوبتها والتحاقها بقطار الفدائيين.

وأخيراً... إن فيلم "الباب المفتوح" ما هو إلا تعبير عن حراك اجتماعي ساد فترة ما بعد يوليو، حاولت فيه كاتبتنا طرح قضية المرأة المصرية على الساحة المجتمعية؛ موجهة لها رسالة بأن الباب أصبح لها بعد يوليو مفتوحاً على مصراعيه لتلحق بالعصر،

وتخرج من قيود المجتمع البالية لفضاء أكبر وأوسع رحابة، تُعامل فيه كإنسان كامل الحقوق والواجبات.



لا وقت للحب...

دور المرأة المصرية في المقاومة الشعبية

يتميز الأديب المصري الراحل د. يوسف إدريس بقدره عالية على الوصف الأدبي؛ خصوصاً في أدب القصة القصيرة، والذي تميز به وكان المنصة الفعلية لأدينا الكبير في التعبير عن الكثير والكثير من قضايا الوطن وشواغله، من تلك القصص القصيرة، والتي تحدث فيها كاتبنا الكبير عن المقاومة الشعبية المصرية... قصة الحب التي تحولت إلى فيلم سينمائي بعنوان: "لا وقت للحب"؛ ليعبر العنوان عن مفهوم المقاومة الأسمى والأهم من أي شيء آخر، والفيلم كان من بطولة الفنانة الكبيرة فاتن حمامة، والفنان الكبير رشدي أباظة، وعبدالله غيث، وأحمد توفيق، وصلاح جاهين، وإخراج المخرج الكبير صلاح أبو سيف.

الفيلم ومن قبله القصة القصيرة، كانت مأخوذة عن أحداث واقعية للطبيب حمزة بسيوني عضو منظمة حدتو^(١) اليسارية، والذي شارك هو وزوجته الكيمائية في المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الإنجليزي في القناة... واستوحى الكاتب يوسف إدريس القصة مما حكاها له البطل عن ذكريات أحداث المقاومة، وذلك أثناء سجن الاثنين، إبان اعتقالهما في عهد الرئيس جمال عبدالناصر.

تدور أحداث الفيلم بشكل مشابه للقصة، مع اختلاف أن حمزة كان مهندساً وليس طبيباً، بينما الزوجة فوزية كانت مدرسة، والفيلم يبدأ بحادث حريق

(١) - (١٩٤٤-١٩٦٥) الحركة الديمقراطية للتححر الوطني وهى منظمة يسارية مصرية شاركت في النضال المصري السياسي للتححر من الاستعمار والكفاح المسلح في منطقه قناة السويس ضد الإنجليز.

القاهرة^(١)، والذي تلاه إعلان الأحكام العرفية^(٢) والقبض على كافة أعضاء التنظيم القومي المناهض للاحتلال ومنهم حمزة بسيوني، الذي يختبئ عند صديق له "بدير" وتساعده في المقاومة المدرسة فوزية؛ لتنشأ قصة حب بينهما وينتهي الفيلم بمساعدة فوزية للبطل على نقل المتفجرات إلى منطقة القناة لتفجير معسكرات الإنجليز.



الفيلم يسلط الضوء أكثر من القصة على دور المرأة في العمل الوطني المقاوم، وكيف أن المقاومة الشعبية لم تكن تقتصر على الرجال؛ بل امتدت للنساء أيضاً، وهذا ما ركز عليه الفيلم؛ فمساحة دور البطلة فاتن حمامة كان كبيراً بالمقارنة بالبطل نفسه.

(١) حريق كبير اندلع في ٢٦ يناير ١٩٥٢ في عدة منشآت في مدينة القاهرة، وقد أجمعت المصادر الرسمية وشهود العيان على أن الحادث كان مدبراً.

(٢) هو حكم عسكري تفرضه السلطات في بلد أو منطقة معينة وقت الطوارئ، عندما تعتبر السلطات المدنية عاجزة عن تسيير الأعمال أو فرض القوانين.

الفيلم ركز أيضاً على دور البسطاء في المقاومة، وكيف أن مشاركتهم في المقاومة كانت نقية وقوية وملئية بالتضحية، كدور عامل المقابر عبدالله غيث، بينما المتعلمون كانوا أقل صموداً في وجه السلطة والضغط؛ ممثلاً في دور شوقي والذي قام بدوره الفنان أحمد توفيق، والذي تحول إلى عميل للبوليس السياسي مقابل الإفراج عنه... الفيلم أوضح طبيعة الحياة السياسية قبل نظام ٥٢؛ حيث الأحزاب السياسية في حالة تبادل أدوار مع سلطة الملك، بينما الاحتلال مازال جاثماً على صدر الوطن في معسكراته بمنطقة القناة.



في مشهد على قدر عالٍ من العمق الفني... كان لقاء المقاوم بسيوني مع قبر الخديوي توفيق^(١) عندما استخدم الضريح كمكان للاختباء، ودار الحوار بينه وبين عامل المقابر، الذي عرّفه على القبر وكيف جمع هذا المشهد بذكاء بين مقاوم الاحتلال حمزة ومستدعي الاحتلال الخديوي توفيق.

(١) خديوي مصر والسودان خلال الأعوام ١٨٧٩-١٨٩٢م، وفي عهده حدثت ثورة عرابي وما تبعها من الاحتلال الإنجليزي لمصر.

ينتهي الفيلم بمشهد بارع اتضح فيه الاحتواء الجمعي للمقاومة الشعبية، والذي ظهر فيه تعاطف الجميع مع الثوار حتى الصغار من أهل الحي؛ حيث بدأ أطفال الحي المحاصر بالإنجليز في الإسماعيلية بالغناء بصوت عالٍ، هم وأهل الحي تحذيراً للبطل من دخول الحي؛ حتى لا يقع في الكمين المنسوب له؛ لتتحول أغنية الأطفال إلى صرخة تحذير للمقاوم وتتردد الأغنية بمعانيها الكامنة بكلمات بسيطة تقول: ”إوعى تخش العشة يا ديك أبو وش أحمر مستنيك... راح يتعشى ويفطر بيك... إوعى تقرب إوعى تفوت... ارجع تاني أحسن حتموت. ليفهم البطل الرسالة ويهرب؛ لينتهي الفيلم بشكل مفاجئ؛ تاركاً للمشاهد تحيّل ما سيتلو ذلك من أحداث تاريخية هو يعلمها بطبيعة الحال.



**سينما الأوضاع الاجتماعية
والاقتصادية والسياسية**

القاهرة ٣٠...

الثورة المؤجلة على واقع مضطرب...

لم يستطع كاتبٌ وصفَ الواقع المصري بشكل توثيقي -لمدة قاربت على أكثر من نصف قرن- كما فعل الكاتب الكبير الراحل نجيب محفوظ، والذي وصف الواقع المصري بدقة متناهية منذ العهد الملكي؛ وصولاً إلى عهد الرؤساء في النظام الجمهوري، والذي أنتجته ثورة ٢٣ يوليو؛ لتعد روايته بمثابة صحيفة لحال الوطن المصري عبر عقود، وصف من خلالها أوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وعبر عن تطلعاته وطموحاته، وتنبأ من خلالها بثورته وبأسباب انكساراته.

فيلم "القاهرة ٣٠" المأخوذ عن رواية القاهرة الجديدة لنجيب محفوظ والتي صدرت عام ١٩٤٥، كانت مثلاً قياسيًّا للعمل الفني، والذي عبر بكل دقة عن حال الوطن المصري في صدر العهد الملكي في ثلاثينيات القرن الماضي في الفترة التي تم فيها إلغاء دستور ١٩٢٣.

الفيلم من بطولة سعاد حسني، وحمدي أحمد، وأحمد مظهر، وعبدالعزیز المكيوي^(١) وتوفيق الدقن، وأحمد توفيق، ومن إخراج رائد الواقعية المصرية صلاح أبوسيف، والذي عاد به للسينما المصرية عام ١٩٦٦، بعد ثلاث سنوات من إخراجه لفيلم "لا وقت للحب"؛ ليقوم بتجسيد رواية كانت عالقة في ذهنه ورفضتها الرقابة أكثر من مرة، سواء في العهد الملكي لنقدها اللاذع للنظام، أو في العهد الجمهوري لقسوة وحدة أحداثها؛ لتتم أخيراً إجازتها، ويخرجها مخرجنا الراحل ويتجها القطاع

(١) (١٩٣٤-٢٠١٦) ممثل مصري له الكثير من الأعمال في السينما والتلفزيون.

العام ممثلاً في المؤسسة المصرية العامة للسينما؛ ليصبح هذا الفيلم واحداً من أيقونات السينما المصرية عبر الزمن.



تدور أحداث الفيلم حول الشاب "محبوب عبدالدايم"، شاب فقير وافد من الريف، ويحيا حياة مزرية في القاهرة، والشاب "علي طه" اليساري الثائر زميله بسكن الطلبة، والذي يحلم بتغيير الواقع الظالم، يتعرف محبوب على ابن بلدته القناطر "سالم الإخشيدى" الذي يطلب منه أن يساعده في الحصول على وظيفة، والذي يعرض عليه كذلك أن يتزوج من إحسان عشيقة قاسم بك، على أن يزورها قاسم بك مرة واحدة

كل أسبوع، بينما علي طه يواصل كفاحه الثوري.

يتناول الفيلم حال الدولة المصرية في قلب العهد الملكي، ويرسم صورة عميقة للواقع المصري آنذاك؛ حيث الفقراء من الطلبة الجامعيين القادمين من الريف المدقع فقراً، والذين يحصلون على التعليم بصعوبة عن طريق مساعدات الأهالي التي تقتطع من قوتهم لتعلم أبناءها، ويفاجأ هؤلاء الطلبة بواقع العاصمة القاهرة عام ١٩٣٠، والتي كانت تُحكم بالطبقة الأرستقراطية تحت غطاء من الاحتلال الإنجليزي، وبمساعدة طبقة كبار الموظفين الممثلة في قاسم بك وسالم الإخشيدى وغيرهم من أبناء المصريين، الذين تمكنوا من تسلق الدرجات الوظيفية المختلفة -حسب تعبير الفيلم- من قاع المجتمع ليصلوا إلى تلك الطبقة البيروقراطية الموالية للنظام.

رمز الكاتب بإحسان إلى الوطن المغتصب عنوةً عن طريق معاونة بعض أبنائه، من أمثلة الأم والأب شحاتة التركي، في رمزية خاصة للاسم الذي لا يخلو من الدلالات.

كان محبوب عبدالدايم -ذو القرون- في المشهد الشهير، هو الرمز الأوضح لقواد عملية الاغتصاب تلك، والتي تجري تحت نظره وبعلمه ومباركته بشكل أسبوعي؛ منتظراً مكافأته الضئيلة بالترقية في الوظيفة، والتي ترضي نفسه المتسلقة، بينما رمز الكاتب لـ"علي طه" بالبراءة والنقاء الثوري، والذي يحلم بتغيير الواقع بشكل ثوري جذري؛ فهو في أحد المشاهد يشرح لزملائه كيف أن الحياة الحزبية في مصر ما هي إلا جزء لا يتجزأ من الطبقة الحاكمة، والتي لا تستطيع التغيير.

أوضح الفيلم الصراع النفسي للأبطال؛ فمحبوب يبرر كل شيء حوله بمقولة (طرز)، وعن طريق الحوار الداخلي الذي كان أحد التقنيات المحترفة للمخرج، استطاع المشاهد أن يفهم الدوافع النفسية لمحبوب، ومن أمثلة ذلك: "حاسب الوحل يا

محجوب أفندي" ليقول عبدالدايم في سره: "ما اتوحدنا والي كان كان".

قدّم مشهد الحفلة للهانم نموذجاً معبراً لذلك البذخ الذي كانت تعيشه الطبقة الأرستقراطية؛ حتى أن هذا المشهد كان هو الوحيد الملون وسط الفيلم، بشكل يوحي بأن حياة تلك الطبقة كانت في أزهى صورها؛ بينما حياة الباقين من أهل مصر كانت بالأبيض والأسود من حيث الشقاء والفقر، كانت خطبة الهانم الركيكة التي كتبت لها بحروف غريبة لجهلها باللغة العربية، نموذجاً صارخاً لمدى اغتراب هؤلاء عن واقع الوطن؛ فهم حتى يجهلون لغته.

اختار المخرج وجوهاً جديدة لبطولة الفيلم؛ فكان دور محجوب عبدالدايم هو دور العمر للفنان الصاعد وقتها "حمدي أحمد"^(١) والذي أدى فيه دور المتسلق ببراعة، بينما كان دور علي طه النقيض لمحجوب، هو دور العمر للفنان "عبدالعزيز المكيوي" وليصبح الاثنان وجهي العملة النقيضين لبعضهما البعض، على الرغم من انتمائهما لنفس الوطن ونفس الأصول.

كان الاستغلال هو السمة الغالبة للفيلم؛ فالجميع يستغلون الجميع، ماعدا "علي طه"، وكان مشهد هروب محجوب من المنزل أثناء مجيء قاسم بيه وحواره مع السكرير، والذي تعرف عليه في البار، بمثابة تنظير لهذا الواقع المستغل؛ فقاسم بيه يستغله، والحكومة تستغل قاسم بيه، وكبار الموظفين والحكومة تستغل بالإنجليز (تلحس رجلين الإنجليز) على حسب تعبير البطل.

(١) (١٩٣٣-٢٠١٦) ممثل وصحفي وسياسي مصري



كانت نهاية الفيلم في أقصى درجات التراجيديا؛ عندما تكتشف زوجة قاسم بك خيانة زوجها، ويُعرى محبوب أمام والده الذي يدرك مدى حقارة ابنه، ومع هذا لا يهتز محبوب؛ فهو يعلم تماماً أن قاسم بك وزير المعارف العمومية^(١) (في رمزية أخرى) الفاسد، سيقوم بإصلاح الموقف، والعودة مرة أخرى لاغتصاب إحسان واستغلالها من الجميع، وفي نفس الوقت كان الثوري علي طه يهرب من البوليس الذي أراد اغتياله واغتيال حلمه بالتغيير؛ لينتهي الفيلم بمشهد رائع لعلي وهو يوزع المنشورات على الجماهير وهي تطير في الهواء، بينما في الخلفية تعزف موسيقى السلام الوطني المصري في العهد الملكي، بشكل يؤكد أن البقاء للحلم الثوري... فهو الباقي والذي سيفرض نفسه بمرور الوقت مهما حدث.



(١) وزارة التربية والتعليم في العهد الملكي.

في بيتنا رجل...

عمل يوثق تاريخ مصر

سواء اتفقنا أو اختلفنا مع ثورة يوليو ٥٢ في نتائجها وأثرها في الواقع المصري داخلياً وخارجياً، إلا أن قضية الاستقلال الوطني واستقلالية قراره، كان مما لا شك فيه من أهم إنجازاتها، والذي تحقق بعد قرون من التبعية والاحتلال الذي رزح تحت نيره المصريون لفترات طويلة من الزمن.



من تلك الأعمال الفنية والتي خلدت واقع مصر تحت الاحتلال الإنجليزي، وكيف كانت مقاومة الشعب المصري لهذا الاحتلال الغاشم، فيلم "في بيتنا رجل"، الذي أُنتج عام ١٩٦١ عن رواية للأديب "إحسان عبد القدوس"، صدرت عام

١٩٥٧، وكان من إخراج المخرج الراحل "هنري بركات".

الفيلم من بطولة عمر الشريف، ورشدي أباطة، وزبيدة ثروت، وحسين رياض، وتوفيق الدقن، وزهرة العلا، ومن إنتاج أفلام بركات، وسيناريو وحوار يوسف عيسى، وتصوير وديد سري، وموسيقى الرائع فؤاد الظاهري.

تدور أحداث الفيلم حول إبراهيم حمدي (عمر الشريف) الذي يُقتل أحد زملائه الثوار وقريبه في نفس الوقت، على يد قوات البوليس في واقعة كوبري عباس عام ١٩٤٦؛ فيقرر الانتقام بقتل رئيس الوزراء الموالي للإنجليز، ولكن يتم القبض عليه بعد قتل الوزير، ويتم تعذيبه حتى يدخل أحد المستشفيات، ولكنه يهرب لمنزل زميله الجامعي "محيي زاهر"؛ فيعيش في منزلهم فترة مع عائلته في المنزل، وتقع نوال (زبيدة ثروت) أخت محيي، في حبه، ولكنه يقرر الهروب إلى خارج مصر، ويتم القبض على محيي وابن عمه عبد الحميد (رشدي أباطة)، وينتهي الفيلم بتراجع إبراهيم عن قراره بالهروب؛ ليقدر تدمير معسكر للإنجليز ويُستشهد أثناء ذلك.

يتناول الفيلم بالتوثيق واقعة مهمة في تاريخ حركة الاستقلال المصرية، وهي واقعة مذبحة كوبري عباس، والتي حدثت ٩ فبراير ١٩٤٦م، والتي حاصرت فيها قوات البوليس المصري المتظاهرين من الطلبة على كوبري عباس؛ بناءً على أوامر الإنجليز وتواطؤ حكومة النقراشي، ويتم إطلاق النار عليهم ثم ضربهم بالعصي ليهرب الطلبة بالسقوط في النيل؛ ليُضحى يوماً شاهداً على ثورة الطلاب على الحكومة المصرية، والتي كانت تفاوض الإنجليز على الجلاء وقتها، ويتحول هذا اليوم إلى يوم الشباب في مصر، ويتحول يوم ٢١ فبراير يوماً عالمياً للطلاب على مستوى العالم، بعد أن تضامنت الحركات الطلابية العالمية مع طلاب مصر.

الفيلم المملوء بالأحداث يتناول بشكل دقيق الواقع السياسي المصري في عهد

ما بعد الحرب العالمية الثانية؛ حيث كان المناخ السياسي محتقناً للغاية بين احتلال ونظام ملكي خاضع له، وشعب ثائر على تلك الأوضاع، وكيف أن الحكومة المصرية وقتها ما كانت إلا ذراعاً من أذرع الاحتلال ضد الشعب وجلاداً من جلاديه.

يبدأ الفيلم بشكل مُبتكر بمقدمة مصحوبة برسم كاريكاتيري، يصف تاريخ سقوط مصر تحت الاحتلال الإنجليزي بعد ثورة عرابي؛ وصولاً إلى وقت أحداث الفيلم.

كان الحوار هو أحد أبطال الفيلم؛ حيث كان الحوار لإحسان عبدالقدوس ويوسف عيسى، يتناول أسباب ثورة الطلاب، ويبرر وينظر الانتقال التدريجي لعائلة زاهر من عائلة مسالمة من الطبقة المتوسطة إلى عائلة مؤمنة بالثورة على الاحتلال؛ لينتهي بها الحال إلى إيواء الثائر إبراهيم والوقوف معه حتى القبض على بعض أفراد العائلة.

أوضح الفيلم وجود الكثير من الوطنيين المصريين داخل البوليس المصري وقتها، من أمثلة الضابط الذي رفض إطلاق النار على المتظاهرين، وضابط الحراسة علي إبراهيم داخل القصر العيني؛ ليتجسد هذا الدور الوطني للشرطة فيما بعد في واقعة ٢٥ يناير ١٩٥٢، عندما تصدت الشرطة لقوات الاحتلال الإنجليزي بأسلحتهم الخفيفة في الإسمايلية.

كان دور الفنان رشدي أباطة (عبد الحميد) هو الدور الأصعب في الفيلم؛ حيث كان نموذجاً للمصري اللاهي؛ الذي يعيش في عالم عبثي أناني، والذي يتحول تدريجياً إلى ثوري ووطني عندما يدرك حقيقة الأوضاع السياسية التي يعيشها وطنه.

كانت الكادرات التصويرية للمصور وديد سري^(١) من أروع ما احتوى عليه الفيلم، من أمثلة هذا: الكادر الذي كان يقف فيه إبراهيم خلف الباب مختبئاً، وخارج الباب يقف عبد الحميد ومن ورائه محيي بملامح مختلفة لكل منهما، والكادر الذي جمع جميع أفراد العائلة وهم في حزن وقلق بعد مغادرة إبراهيم لمنزلهم.

من المشاهد ذات الدلالة في الفيلم... مشهد طلاء حوائط الشوارع باللون الأبيض مسحاً لجملة "يسقط الاحتلال"، ومشهد حوار المساجين في الزنازين أثناء حبس عبد الحميد ومحيي، كانت تلك المشاهد القصيرة في مدتها في غاية العمق في التعبير عن التواطؤ والقمع الذي يمارس بواسطة السلطة لحساب الاحتلال.

ينتهي الفيلم باستشهاد إبراهيم؛ بعد أن قام بتفجير معسكر الذخيرة الإنجليزي؛ ليخرج بعدها أولاد العم محيي وعبد الحميد من السجن؛ ليكملا مسيرة الشهيد وتتحول دماؤه الزكية إلى شرارة لوقود الثورة المصرية.



(١) (١٩١٤ - ١٩٨٤) مصور سينما مصري.

فيلم بداية ونهاية...

تراجيديا أسرة من الطبقة المتوسطة...

في أغلب الأحيان... تكون الأعمال الفنية المشتقة من عمل أدبي ذي قيمة، تحمل درجة عالية من الجودة الفنية والفكرية؛ جاعلةً المتلقي في حالة فريدة من المزاوجة العميقة بين الفكر الأدبي الذي يحمله العمل الأدبي الأصلي، مع المتعة المطلوبة في العمل الفني؛ خاصةً السينمائي منه، من تلك الأعمال الفنية والتي مثلت نموذجاً مثالياً لتلك الحالة من المزاوجة، هو فيلم "بداية ونهاية" المنتج عام ١٩٦٠ والمشتق من رواية الأديب الكبير نجيب محفوظ، والتي صدرت عام ١٩٤٩ تحت نفس الاسم، وقد استوحى الكاتب قصتها عن أسرة حقيقية كان يعرفها الكاتب.

الفيلم من إخراج رائد الواقعية المصرية صلاح أبو سيف، ومن بطولة أمينة رزق، وعمر الشريف، وسناء جميل، وفريد شوقي، وصلاح منصور، وكمال حسين، وسيناريو صلاح عز الدين، وحوار أحمد شكري وكامل عبدالسلام.

تدور أحداث الفيلم حول أسرة فقيرة من الطبقة المتوسطة، يُتوفى عائلها الموظف، ويتأخر حصول الأسرة على المعاش نظراً لظروف الحرب العالمية الثانية، وما كانت تعانيه مصر من صعاب اقتصادية في ظل الاحتلال الإنجليزي، تحاول الأسرة الصمود مع تلك الضائقة المالية؛ لتنتقل من مصاف الطبقات المتوسطة إلى الفقيرة، ويكمل بعض أبنائها تعليمهم، مثل حسنين المتمرد على واقعه وطبقته، والذي يلتحق بالكلية الحربية بتضحية أخيه الطيب حسين، والذي لا يكمل تعليمه الجامعي، وبمساعدة مالية للأخ الأكبر حسن، والذي يعمل "بلطجي" وتاجر

مخدرات، بينما الأخت الوحيدة تنساق في طريق الرذيلة بعد أن خدعها حبيبها ابن البقال وأفقدوها عذريتها؛ لتحترف الحرام لتساعد عائلتها المنهكة مادياً.



الفيلم تناول بشكل مفصل تفاصيل حياة أسرة من الطبقة المتوسطة المصرية في عهد ما قبل ثورة يوليو؛ حيث كانت مصر واقعةً تحت الاحتلال الإنجليزي والذي حوّل المملكة المصرية وقتها إلى محمية يستغلها الاحتلال كقاعدة له؛ ممتصاً

إمكانياتها المادية والاقتصادية.

أوضح الفيلم كيف أنه حتى الأسر المتوسطة الحال، لم تكن قادرة على تعليم أبنائها في ظل تعليم مدفوع الأجر؛ فالأم تقترض المال في سبيل دفع مصاريف أبنائها في المدارس، بينما الكلية الحربية نفسها كان الالتحاق بها يحتاج إلى مصروفات ورسوم كبيرة لا يقدر عليها البسطاء من المصريين... كل ذلك تم علاجه بعد ذلك عن طريق تعميم مجانية التعليم، والتي نادى بها وزير المعارف قبل الثورة "د. طه حسين"، وتم تطبيقها وتنفيذها بعد قيام حركة يوليو والتي جعلت الكثير والكثير من أبناء البسطاء ينتقلون من أدنى طبقات المجتمع بالتعليم إلى أعلى الدرجات العلمية والوظيفية.

الفيلم تناول بالإضافة إلى الأبعاد السياسية والاجتماعية، الصراع النفسي الدائر بين أربعة إخوة مختلفين في الشخصيات والطبائع؛ فالأخ الأكبر حسن لم ينل حظه من التعليم فانساق في طريق البلطجة والمخدرات، وحسين الأخ الطيب الراضي بحاله وواقعه يضحى بمستقبله حتى يستطيع أخوه الأصغر حسنين أن يلتحق بالكلية الحربية، ومع ذلك فطبيعته المتمردة وغير الراضية جعلته في صراع دائم مع نفسه وواقعه وأسرته، وأخيراً الفتاة نفيسة تلك الفتاة المتواضعة الجمال، والتي تنساق إلى احتراف البغاء بعد أن خدعها ابن البقال، وتجد في عملها هذا وسيلة لمساعدة عائلتها وأخيها حسنين الطامع في الخروج من واقعه على حساب الآخرين.

نجح المخرج في إظهار فقر العائلة المدقع من خلال الديكورات البسيطة والحارة الفقيرة، بينما نجح السيناريو والحوار في توضيح الصراع النفسي للأبطال؛ خصوصاً للشخصيات الرئيسية للعمل: حسنين ونفيسة بشكل بليغ، ولا يطغى عليه الطابع الإنشائي.

أوضح الفيلم بشكل غير مباشر تركيبة المجتمع في ذلك الوقت، من أمثلة نموذج يسري بيه ممثلاً للطبقة الأرستقراطية، ومجتمع الموظفين ممثلاً في ناظر مدرسة حسين، ومجتمع الجريمة والانحلال ممثلاً في حسن ورفيقته الراقصة وأعوانه من مهربي المخدرات.



تناول الفيلم مفهوم الطموح وكيف أن الطموح غير المشروع يؤدي إلى نهايات مأساوية، في صورة نهاية حسنين صاحب طموح الترقى السريع في السلم الطبقي على حساب الآخرين، وطموح حسن الذي سعى إلى الثروة عن طريق تجارة المخدرات، بينما نجا حسين الأخ الأوسط من تلك النهايات المأساوية عن طريق طموحه المشروع المتدرج المناسب مع إمكانياته وبيئته وظروفه.

ينتهي الفيلم بشكل تراجيدي؛ ليكتشف حسنين أن أخته تم القبض عليها في أحد أوكار البغاء؛ لتكشف أمامه ضالة وضعه الاجتماعي، وينهار أمام عينيه مستقبله الذي كان قد بدأ يخطو فيه خطواته الأولى، لم يكن الشرف هو ما يعنيه بقدر

أحلامه التي تهاوت أمامه.

وفي مشهد رائع تقرر الأخت نفيسة الانتحار بدلاً من أن يقتلها أخوها خوفاً منها على مستقبله؛ فهي -حتى وهي مقدمة على الموت- مازالت تحنو عليه وتهتم بمستقبله؛ لتلقي بنفسها في النيل، وهنا لم يتحمل حسنين مشهد وفاة أخته الصغرى؛ ليقرر هو الآخر الانتحار، وينتهي المشهد -والذي تعتمد المخرج أن يكون بلا حوار تقريباً- بعبارة المارة "لا حول ولا قوة إلا بالله".

حصلت الفنانة "سناء جميل" على المركز الثالث في مهرجان موسكو السينمائي^(١) لعام ١٩٦١ عن دورها الرائع في هذا الفيلم، ويصبح فيلم "بداية ونهاية" واحداً من أفضل ١٠٠ فيلم سينمائي في تاريخ السينما المصرية، ويضحى كفيلم توثيقاً لحال وطن أرهقه الفقر والاحتلال معاً.



(١) مهرجان موسكو السينمائي الدولي: مهرجان سينمائي عُقد لأول مرة في موسكو عام ١٩٣٥م، وهو ثاني أقدم مهرجان سينمائي في العالم بعد مهرجان فينسيا.

الأيدي الناعمة...

عندما تعرق الأيدي الملكية

صاحب ثورة يوليو وما بعدها إنتاج الكثير من الأعمال السينمائية التي تعبر عن فكر دولة يوليو وأهدافها، كانت تلك الأعمال الفنية بمثابة رسائل موجهة بشكل غير مباشر للشعب المصري، والعربي بشكل عام.

من تلك الأعمال والتي تناولت إحدى القضايا التي تصدت لها دولة يوليو، هو فيلم "الأيدي الناعمة"، عن قصة الأديب الكبير "توفيق الحكيم".

الفيلم الذي أخرجه "محمود ذوالفقار"^(١) تدور أحداثه حول أحد أبناء العائلة المالكة المصرية، والذي تم تأميم أملاكه لصالح الدولة، ولم يُترك له إلا قصره لكي يعيش فيه دون أية أموال تُذكر؛ ليبدأ هذا البرنس السابق في اعتراك الحياة الحقيقية ليتكسب رزقه عن طريق تأجير قصره المهيب لمجموعة من عامة الشعب، من أمثال تاجر المواشي وزوجته، والأرملة الحسنة ووالدها.

يرتبط البرنس العاقل عاطفياً بالأرملة، ويُصدم عندما يعرف أنها أخت المهندس الذي تزوج ابنته الكبرى ضد رغبته لأنه من عامة الشعب، عندما يكتشف الحقيقة، يقوم البرنس بطرد الأرملة ووالدها وابنته ليندم فيما بعد على فعلته، ويبدأ رحلة البحث عن العمل حتى يعيد تأهيل نفسه وفقاً لإمكانياته؛ ليعمل أخيراً مرشداً سياحياً ويتزوج الأرملة ويتصالح مع واقعه الجديد.

الفيلم بطولة الفنان الكبير "أحمد مظهر" -أحد ضباط الجيش المصري سابقاً-

(١) (١٩١٤-١٩٧٠م) ممثل ومخرج مصري.

والذي عبّر بواقعية واحتراف عن مدى سطحية وهشاشة هذا البرنس العاطل بالوراثة.



حاول الكاتب "توفيق الحكيم" التعبير بدقة عن هذه الطبقة المخملية، والتي كانت تمثل النخبة المصرية قبل الثورة، والتي كانت منفصمة بشكل تام عن واقع المصريين وأحوالهم.



من أهم مشاهد الفيلم، والتي أعتبرها في رأيي ملخص فكرة المؤلف، هو الحوار الراقي الذي دار بين صاحب عربة البسبوسة والبرنس العاقل؛ حيث كان يقايض نياشين عائلته الملكية بالبسبوسة، كعلامة، هي أنه لا قيمة إلا للإنتاج الحقيقي والفعل، وأيضاً عندما فوجئ البرنس بأن ابن صاحب عربة البسبوسة متعلم تعليماً جامعياً وسيتزوج ابنة مديره في العمل، وكيف أن الابن يفتخر بمهنة أبيه الذي كافح من أجل تربيته وتعليمه.

رمز الكاتب بذكاء إلى التغيرات السلبية والتي صاحبت ذلك الحراك الطبقي، بنموذج الجزار وزوجته وهما يحتاجان السرايا ويعيثان فيها تخريباً بشكل يفقد إلى أية درجة من درجات الرقي، والذي عبّر عن زحف الطبقات الدنيا إلى مستويات اجتماعية عليا - لا تتناسب مع بيئتهم الأم التي أتوا منها - بمؤهل الإمكانية المادية فقط، والذي تجلّى بشكل صارخ فيما بعد في الحياة الاجتماعية المصرية في العقود التالية.

الفيلم يركز على قيمة العمل والإنتاج كغاية وهدف في حد ذاته، ولم يقتصر ذلك

على البرنس العاقل؛ بل امتد إلى صديقه الحاصل على دكتوراه في علم النحو، الذي اتجه إلى التمثيل بدلاً من البطالة، وزوج ابنته المهندس الذي بدأ مشروعه الهندسي الخاص في صورة ورشة صغيرة.

في النهاية... أدركت الأيدي الملكية الناعمة أنه لا مكان لها في دولة يوليو الوليدة إلا بالعرق والعمل والإنتاج، ولتطوي فترة طويلة من حياة الخمول والتطفل التي عاشها أمراء وإقطاعيو العهد الملكي السابق.



قنديل أم هاشم...

عندما يصطدم العلم بالموروث الشعبي

يعتبر فيلم "قنديل أم هاشم" من أكثر أفلام ما بعد ثورة يوليو جرأةً في الطرح؛ خاصة وهو يتناول موضوعاً اجتماعياً شائكاً، ألا وهو الموروث الديني والشعبي وصدام العلم معه.



الفيلم مأخوذ عن رواية للكاتب الكبير "يحيى حقي"^(١) تحمل نفس الاسم، ومن إنتاج عام ١٩٦٨، وأخرجه للسينما المخرج الراحل "كمال عطية" وبطولة النجم "شكري سرحان"، و"سميرة أحمد"، و"عبدالوارث عسر"، و"صلاح منصور".

الفيلم تدور أحداثه حول الشاب "إسماعيل" ابن منطقة السيدة زينب الشعبية، والذي يرسله والده التاجر البسيط إلى ألمانيا لدراسة الطب؛ ليعود ليعمل طبيب عيون في منطقته الشعبية، ويصطدم هناك بالموروث الشعبي لأبناء الحي وإيمانهم بخرافة قدرة العلاج الشعبي على شفاء أمراض العيون المتمثل في (زيت القنديل).

يصطدم البطل بشراسة في البداية بأهل الحي الذين يرفضون سلوكه بشدة، إلى أن يصل إلى صيغة توافقية في التعامل مع مرضى الحي عن طريق التصالح مع الموروث، والإيحاء للمرضى بأنه يعالجههم بالموروث الشعبي، بينما هو يستخدم أحدث الأساليب الطبية العصرية في العلاج.

الفيلم وكتبه "يحيى حقي" يتناول قضية شائكة كانت من أهم معوقات تقدم الدولة المصرية فيما قبل يوليو، وهي فكرة الموروث الشعبي والديني وسيطرته على عقول الناس، وذلك لسيادة الجهل والامية، وعدم الإيمان بالعلم، وهذا ما كان منتشرًا في العهد الملكي وحاربه الثورة بشكل كبير، وإن كان لم ينته بشكل كامل حتى الآن.

من أهم ما طرحه الكاتب، هو فكرة كيفية حل المشاكل المركبة بالحلول المبتكرة والمواءمات؛ خاصة عندما تتعلق المشكلة بالثقافات والعادات والتقاليد، وعدم اللجوء للتصادم، والحلول الراديكالية والتي لن تستطيع أن تحل مثل تلك المشاكل.

قام الفنان الراحل "شكري سرحان" بأداء دور البطولة ببراعة، وعبر بدقة عن

(١) (١٩٠٥-١٩٩٢م)، كاتب وروائي مصري ذو أصول تركية، ويعتبر رائداً من رواد القصة القصيرة.

انتقال هذا الشاب المصري البسيط من حالة البدائية الفكرية إلى الإيمان التام بالعلم والتقدم إلى درجة التطرف.

من أبرع مشاهد الفيلم، هو مشهد كسر البطل للقنديل (قنديل أم هاشم والذي يمثل التابو^(١) الشعبي)، وكيف كان رد فعل المحيطين به من الصدمة والذهول والاستهجان من هذا السلوك الغريب.



نجح المخرج في تجسيد الحارة المصرية الشعبية بكل تفاصيلها، وكان دور الفنان الكبير "صلاح منصور" (عم درديري) معبراً للغاية عن تلك الشخصية المصرية البسيطة المؤمنة تمام الإيمان بتلك الموروثات والعادات، في صورة أشبه بدرأويش الصوفية، ولكن في صورة أكثر نضجاً.

ثمانون عاماً تقريباً مرت على صدور رواية "قنديل أم هاشم"، والتي استطاع

(١) التابو أو الطابو: كلمة بولينيزية، تطلق على أي خط أحمراً لا يقبل المجتمع تجاوزه، بغض النظر عن مدى كونه مبرراً أو حتى متناسقاً مع القوانين والشرائع.

الكاتب الكبير أن يناقش فيها فكرة المواجهة بين الشرق بكل ما يحتويه من التزام ديني وعادات وتقاليده مجتمعية تقيد كل الأفكار التقدمية للتطور العلمي، والغرب وما يمثله من تقدم علمي وتقني وأخذ لأسباب التقدم العلمي والتكنولوجي في مختلف مناحي الحياة.

أخيراً... فإن فيلم "قنديل أم هاشم" هو بمثابة لبنة لتأسيس حقبة جديدة في الوعي المصري، الذي بدأ بعد ثورة يوليو في التوجه نحو العلم والمعرفة بشكل جاد وواعد، دون الاعتماد على الموروثات الشعبية والدينية والثقافية.



أم العروسة...

وحال الطبقة المتوسطة بعد الثورة

يعتبر فيلم "أم العروسة" من أكثر أفلام ما بعد ثورة يوليو نضجاً، في تناوله لحال الطبقة المتوسطة المصرية؛ حيث ناقش الفيلم في إطار كوميدي اجتماعي، ووثق شكل وحياة الطبقة المتوسطة المصرية في هذا العصر.



الفيلم من إنتاج عام ١٩٦٣، عن قصة الكاتب "عبدالحى أديب"^(١)، ومن إخراج الراحل "عاطف سالم"، تدور أحداث الفيلم حول حياة الموظف البسيط "حسين مرزوق" -الفنان "عماد حمدي"- وزوجته "زينب" أم العروسة -الفنانة "تحية كاريوكا"-، وفي إطار اجتماعي كوميدي يتناول الفيلم كيفية حياة هذه الأسرة المصرية المتوسطة التي رُزقت بالعديد من الأبناء والبنات، والتي تتعرض للكثير من الضغوط المالية خاصة وهي تستعد لزيجة ابنتهم.

يكافح الموظف البسيط حتى يكمل الزيجة؛ مما يضطره إلى أن يختلس مبلغاً من المال من خزينه عمله، ولكن لحسن الحظ يقوم زميله "مركص" بسد العجز في عهده المالية؛ حتى لا يتعرض للمساءلة القانونية.

الفيلم وبشكل عميق يرسم لوحة فنية من الواقع لعائلات الطبقة المتوسطة المصرية، والتي تكونت بشكل متزايد بعد ثورة يوليو؛ حيث التوظيف الكثيف للمتعلمين والمرتبات المحدودة، والتي تكفي تلك الأسر المصرية بالكاد.

رصد الفيلم العديد من الإيجابيات والسلبيات في حياة تلك الطبقة حديثة التكوين، من أهم الإيجابيات التي رصدها الفيلم، هو أن الأبناء جميعهم متعلمون، وعلى قدر من الانضباط الخلقي والأسري، ومنهم من يمتلك المواهب في صورة عزف الموسيقى كمثل، بينما رصد أيضاً الفيلم العديد من السلبيات والتي على رأسها بداية ظهور مشكلة الانفجار السكاني؛ حتى وسط الأسر المتعلمة؛ مما أدى بطبيعة الحال إلى ضعف الإنفاق على هذا العدد الكبير من الأبناء.

حافظ المخرج "عاطف سالم" على دقة المعالجة وجِدَّة الطرح في هذا الفيلم،

(١) عبدالحى مصطفى أديب: (١٩٢٨ - ٢٠٠٧م)، كاتب سيناريو مصري، كتب العديد من الأفلام في تاريخ السينما المصرية.

وكان لديه أسلوب عمل واقعي التوجه، من حيث تفضيله عدم المغالاة في عرض مواقف شخصياته بحيث يصبغها بدرجة بسيطة من الهزل الشديد ممزوج بدرجة ما من الواقعية، والتي تجعل المشاهد يندمج تماماً مع شخصيات "أم العروسة" بابتعاده بشكل متعمد عن الميلودراما، واقتربه من الواقع الاجتماعي المصري ضمن الحبكة الجادة في قضية الفيلم، والذي يتناول قضية اجتماعية بسيطة.

من السليبات التي رصدها الفيلم أيضاً، هو التمسك بالشكليات والمظاهر حتى في مجتمع، كان يوصف بأنه اشتراكي، وظهر هذا جلياً في تمسك أسرة العريس بالكثير من الطلبات القشرية، والتي يبدو أن مجتمع ما بعد يوليو لم يستطع التخلص منها، بالرغم من كل التحولات الجذرية التي حدثت في المجتمع المصري وقتها.



من أهم مشاهد الفيلم، هو مشهد انتظار الأب "حسين" لمجيء الشرطة للقبض عليه أثناء زفاف ابنته؛ ليُفاجأ بصديقه القبطي "مرقص" وقيامه بتسديد ما قام باختلاسه من الخزينة حمايةً له؛ ليوضح مدى الترابط وقوة الصداقة بينهما؛ مؤكداً

تماسك المجتمع المصري من مسلمين وأقباط في هذا العصر.

في النهاية... فإن فيلم "أم العروسة" هو تشريح دقيق لحال طبقة متوسطة
مصرية جديدة ظهرت بعد ثورة يوليو، واستفادت من إنجازاتها، وإن كانت لم تستطع
التخلص بشكل كامل من كثير من سلبيات الماضي، ولكنها من المؤكد كانت في أفضل
حال عن ذي قبل.



السمان والخريف...

حال سياسي من العهد البائد

يعتبر فيلم "السمان والخريف"، والذي تم إنتاجه عام ١٩٦٧، من الأفلام القليلة التي تناولت الواقع السياسي المصري بعد ثورة يوليو، والذي كان معقداً إلى حد كبير.

الفيلم عن قصة وحوار الأديب الراحل "نجيب محفوظ"، وإخراج الراحل "حسام الدين مصطفى"، وسيناريو وحوار "أحمد عباس صالح"، وبطولة المبدع "محمود مرسى" والفنانة الوطنية "نادية لطفي".

تدور أحداث الفيلم حول أحد قيادات الأحزاب السياسية المصرية "عيسى الدباغ" في العهد الملكي، والذي يفقد كل وضعه السياسي بعد قيام الثورة، وتتركه خطيبته لبدأ حياة عبثية تؤدي إلى تعرفه على إحدى فتيات الهوى "ريري" التي يتركها عندما يعلم أنها تحمل في أحشائها طفلاً له.

يستمر "الدباغ" في حياة التخبط والسخط على الثورة؛ حتى يتعرف على مناضل سابق وأحد أبناء يوليو، الذي يبدأ في استمالته مرة أخرى لكي ينخرط في النظام الجديد للدولة بصفته مناضلاً ووطنياً سابقاً.

عبر الفيلم والفنان "محمود مرسى" بشكل دقيق عن حالة سخط السياسيين السابقين للثورة على النظام الجديد، وكيف أنهم وجدوا في ثورة يوليو خسارة لنفوذهم ووضعهم السياسي والاجتماعي السابق.

خسر بطل الفيلم "عيسى الدباغ" وضعه الاجتماعي ونفوذه بالإضافة إلى

خسارته لخطيئته بنت العائلة الأرستقراطية؛ مما أدى إلى حياة تائهة عبثية، ولكن بالرغم من كل ذلك ولأنه وطني صادق، وجد في قرار الرئيس "جمال عبدالناصر" بتأميم القناة ضربة قوية للاستعمار الغاشم، ورفض كويتي (مؤمن بأن العبرة بمصلحة الوطن) الشماتة التي عبر عنها سياسيو العهد الملكي الغابر بعد عدوان ١٩٥٦.



القضية التي يعالجها الفيلم، وإن كان لها شكلها المحلي المصري الخاص، إلا أن هذا الشكل قد لا يعدو أن يكون قشرة خارجية لمشكلة إنسانية دفينه تهز العصر كله، وهي مشكلة الاغتراب عن الوطن وعدم الانتواء، أو الشعور بأن الإنسان مطرود وضائع في هذا العالم.

كانت شخصية الفنان "عادل أدهم" أحد أبناء نظام يوليو (الفدائي السابق ضد الاستعمار الإنجليزي في القناة)، هي المقابل أو التضاد لشخصية السياسي "عيسى

الدباغ" أحد أبناء أحزاب ما قبل يوليو، ولكن القاسم المشترك بينهما كان هو حب الوطن، وإن اختلفت الأهداف والوسائل.



من أكثر مشاهد الفيلم، والتي تعبر عن مضمون الفيلم، هو مشهد الحوار الدائر بين فدائيي القناة و"عيسى الدباغ"، الذي كان يحاول إقناعهم بعدم مقاومة الاحتلال بحجة معاهدة ١٩٣٦^(١) وكيف ظهر "الدباغ" وقتها مرتبكاً، ضعيف الحجة، يردد كلام قيادته في تلك الأحزاب البائدة غير المقنع للفدائيين وغير المقنع له شخصياً.

مثّلت شخصية فتاة الليل "ريري" في الفيلم صورةً إحدى ضحايا المجتمع والذي ظلمها؛ كما تحكي هي ذلك من خلال سردها لحكايتها مع "عيسى الدباغ"،

(١) المعاهدة البريطانية المصرية، وُقعت في ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ بين بريطانيا ومصر في لندن، وقد جاءت المعاهدة بعد إصدار بيان الحكومة بوفاة الملك فؤاد وارتقاء ابنه الملك فاروق العرش، تم تعيين مجلس وصاية نظراً لصغر سنه، ثم شكل حزب الوفد الوزارة نظراً لفوزه في الانتخابات البرلمانية، وطالب بإجراء مفاوضات مع بريطانيا بشأن الجلاء.

الذي لا يتورع عن التضحية بها أيضاً عندما يعلم بأنها حامل منه، ويتركها مع جنينها لتقبل الزواج من رجل مسنّ يصونها ويوفر لها حياة كريمة، وهنا تتحول "ريري" إلى زوجة صالحة، ثم إلى أم لطفلتها الوحيدة وتستقيم، بعد أن انتفت الحاجة إلى الاتجار بالجسم، وبذلك تنقلب على ماضيها الذي لم يكن لها يد فيه وتتصالح مع واقعها الجديد.

وفي النهاية يتصالح أيضاً "الدباغ" مع واقعه وينقلب على ماضيه كما حدث مع "ريري"؛ لينخرط في صفوف العهد السياسي الجديد ويعود لمجتمعه؛ فعاد في النهاية إلى الفتاة المسكينة وطفلتها التي هجرها بسبب تلك الموروثات الطبقية التي كانت تملأ رأسه وتحدد توجهاته.



غرام في الكرنك...

عندما أصبح الرقص الاستعراضي المصري فناً راقياً

كان تأسيس فرقة "رضا" للرقص الشعبي عام ١٩٥٩ على يد الأخوين "علي رضا" و"محمود رضا"؛ علامةً فارقة في التاريخ المصري لتطور هذا النوع من الفن الاستعراضي، والذي حوّل الرقص كأحد أنواع الفنون المستهجنة على الصعيد الاجتماعي، إلى فن راقٍ يحظى باحترام المجتمع المصري؛ حيث أضحى هذا النوع من الفن علماً له قواعد وأصول.

فيلم "غرام في الكرنك" تم إنتاجه عام ١٩٦٧ عن طريق شركة القاهرة للسينما كفيلم استعراضي ملون، تم تجميعه لأول مرة داخل معامل سينمائية مصرية، والفيلم من تأليف وإخراج "علي رضا"، وبطولة "محمود رضا" و"فريدة فهمي" و"عبد المنعم إبراهيم".

تدور أحداث الفيلم في إطار استعراضي كوميدي عن "صلاح" الفنان الاستعراضي، والذي يقوم بتأسيس فرقة فنون استعراضية للفن الشعبي، ويستعين بـ"أمينة" تلك الشابة الجامعية، والتي تنضم إلى الفرقة كبطلة لها، تسافر الفرقة إلى مدينة الأقصر؛ حيث تقيم هناك استعراضات شعبية داخل معبد الكرنك، وهناك يحاول "صلاح" الابتعاد عن "أمينة" التي تحبه، وذلك اعتقاداً منه أنها مرتبطة عاطفياً بابن عمه "مصطفى"؛ ليكتشف كذب ذلك في النهاية ويتأكد من حب "أمينة" له.



الفيلم مليء بالإسكتشات الاستعراضية للرقص الشعبي، والتي كانت أشبه بال لوحات الفنية المتحركة؛ خصوصاً وهي على إيقاع موسيقى الراحل الموسيقار "علي إسماعيل"، والذي زواج بين الفن الشعبي المصري والموسيقى الأوركسترالية.

كثير من تلك الاستعراضات مازال محفوراً في القلب المصري، من أمثلة ذلك: استعراض "حلاوة شمسنا"، واستعراض "الأقصر بلدنا" اللذان كانا نموذجين

متقنين للأداء الراقى للفن الاستعراضي.

ما قامت به فرقة "رضا" وتمثل ذلك جلياً في هذا الفيلم، هو انضمام العديد من حملة المؤهلات العليا لفن الرقص الاستعراضي، من أمثلة الفنانة "فريدة فهمي" خريجة كلية الآداب، والتي أكملت دراسة الفن الاستعراضي لتحصل على درجة الدكتوراه في هذا التخصص من الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا التحول الاجتماعي حوّل هذا الفن من الشكل المجتمعي المستهجن والمنبوذ أحياناً؛ حيث كان مقصوراً على الملاهي الليلية والتياتروها، والتي كانت تملأ القاهرة قبل الثورة، وكانت دعامة هذا الفن في معظمهن من الراقصات الأجنبية والمصريات من الفئات الدنيا غير المتعلّقات في أغلبهن، بينما بعد ثورة يوليو وما طرأ على المجتمع من تغيرات هيكلية، ظهرت شريحة من خريجي الجامعات المصرية، والتي حوّلت هذا الفن من شكله القديم الترفيهي الذي يداعب الغرائز، إلى شكله الجديد الأكاديمي ذي الطابع الإنساني الراقى.



قام "علي رضا" و"محمود رضا" بالسفر إلى كافة أرجاء الوطن المصري؛ لدراسة كافة أنواع الاستعراضات المصرية الشعبية، من رقص صعيدى وسواحلي ونوبي

وسيناوي، ساعدهم في ذلك توجه الدولة التي أمت فرقتهم وحولتها إلى هيئة حكومية لتكتسب ثقلاً وطنياً وتصبح "فرقة رضا" التي مازالت تحمل اسمهم إلى الآن هي صدارة مصر في فنون الرقص الاستعراضى، وتحصد الفرقة الجوائز من كافة أنحاء العالم.

وفي النهاية... فإن فيلم "غرام في الكرنك" رغم بساطته وطابعه الفكاهي، إلا أنه كان ممثلاً لمرحلة فارقة في تاريخ هذا النوع من الفنون، والذي طالما تعامل معه المصريون باستهجان ونفور؛ ليصبح هذا الفن من أركان القوة الناعمة المصرية في كافة أنحاء العالم.



**سينما نقد الأوضاع السياسية
والاجتماعية بعد الثورة**

فيلم ميرامار...

بنسيون يمثل الوطن بعد الثورة

يعتبر فيلم "ميرامار" من أهم وأنضج الأفلام التي تُعتبر بحق أولى موجات النقد الواضح لثورة يوليو؛ خصوصاً بعد نكسة ١٩٦٧.

فيلم "ميرامار" من إنتاج عام ١٩٦٩، وهو عن قصة للأديب "نجيب محفوظ" تحمل نفس الاسم، وإخراج المخرج الشاب وقتها "كمال الشيخ"، ومن إنتاج المؤسسة المصرية للسينما (إنتاج الدولة).

الفيلم تدور أحداثه حول بنسيون (فندق صغير) "ميرامار"، والذي تملكه سيدة يونانية، والتي تلجأ لها الفتاة الريفية "زُهرة" الهاربة من أهلها لتعمل به خادمة؛ لتلتقي هناك بمجموعة من الشخصيات المختلفة، من إقطاعي سابق، وصحفي متقاعد، وشاب إقطاعي عابث، وشاب متسلق ذي أصول بسيطة ملتصق بالدولة واتحادها الاشتراكي، وأخيراً شاب يساري ثوري مثالي هارب للإسكندرية بناء على أمر أخيه ضابط الشرطة الكبير.

تتعلق "زُهرة" بالشاب المتسلق الذي يعدها بالزواج ولكنه يخدعها، وينتهي الحال بانتحاره قبل أن يتم القبض عليه بتهمة السرقة، وتترك "زُهرة" البنسيون لتتزوج بائع الجرائد وتبدأ معه حياة جديدة.

وجّه "نجيب محفوظ" وفيلم ميرامار -والذي أنتجته دولة يوليو- نقداً لاذعاً ومبطناً لثورة يوليو ونظامها السياسي، ودقت جرس إنذار بأهمية التدقيق في المتسبين لها؛ خصوصاً مع تربص الكثيرين بها من المتضررين من إصلاحات يوليو الاقتصادية والاجتماعية.



قصد "نجيب محفوظ" بالنسيون التعبيرَ بشكل دقيق عن الواقع السياسي المصري، وما جرى به من تحولات بعد مرور أكثر من عقد من الزمن على تحولات ثورة يوليو الاقتصادية والاجتماعية؛ موضحاً ظهور التناقضات الهيكلية داخل الطبقة المتوسطة بوضوح؛ فهناك من تضرر من الثورة مثل: "طلبة مرزوق" الإقطاعي السابق والذي تم تأميم أملاكه لصالح الدولة؛ فأصبح ناقماً على الثورة ونظامها، وهناك الصحفي المتقاعد "عامر وجدي" المتسق مع ذاته ومع أهداف الثورة، وهناك الشاب

الإقطاعي "حسني علام" العاثر، والذي لا يحمل موقفاً محدداً من نظام يوليو، وكل ما يشغله هو اللهو وإنفاق عوائد أملاكه.

ركّز "نجيب محفوظ" في قصته على ثلاثة شخصيات: الأولى شخصية "زُهرة" والتي تمثل مصر البريئة التي تسعى للنهوض والترقي من طبقتها الدنيا والوصول لحياة أفضل، والثانية شخصية "سرحان البحيري" الشاب المتسلق المتسبب للاتحاد الاشتراكي، والذي يتفاخر بانتدائه للسلطة ليحاول الوصول لغايته مستخدماً ذلك في خداع البسطاء، والثالثة هي شخصية "منصور" الشاب الثوري المثالي، والذي يعبر عن المثالية الثورية التي تسعى فقط إلى الإصلاح من دون مآرب شخصية.

من أهم مشاهد الفيلم في رأيي، هو الحوار الذي دار بين "سرحان البحيري"، و"منصور" عن انتماء "سرحان" السياسي قبل ثورة يوليو؛ ليكتشف "منصور" أن "سرحان" انتمى للاشتراكية التصاقاً بالنظام، ليس عن إيمان بالاشتراكية^(١) ومبادئها؛ بل لتحقيق أهدافه الشخصية.



(١) الاشتراكية: هي نظام اقتصادي وسياسي ينادي بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج والإدارة التعاونية للاقتصاد.

تصارع الجميع من أجل النيل من "زُهرة" البريئة، ولكنها ترفض الجميع لتتزوج من بائع الجرائد الذي يباثلها اجتماعياً، والذي لا يسعى لاستغلالها ولكن يريد لها أن تشاركه حياته البسيطة؛ آملين أن يلتحقا في يومٍ ما بالطبقة المتوسطة التي يسكنها قاطنو البنسيون.

من أهم مشاهد الفيلم هو مشهد النهاية؛ إذ ينتهي الفيلم بمشهد "زُهرة" وبائع الجرائد وهما يسيران جنباً إلى جنب في شوارع الإسكندرية؛ ليخترقا الزحام نحو مستقبل أفضل.

في النهاية... إن فيلم "ميرامار" هو تحليل متكامل لأركان الوضع السياسي بعد ثورة يوليو، وتعبير دقيق وعميق عن حالة استقطاب عارمة في مجتمع الستينيات، والذي أنتجته ثورة يوليو ونظامها السياسي.



عودة الابن الضال...

هذا هو ما كان من أجيال يوليو...

كانت نكسة يونيو ٦٧ بمثابة زلزال للكثير من المثقفين المؤمنين بثورة يوليو وتوجهاتها وشرعيتها، من هؤلاء المثقفين والذين لم يتحملوا تلك الهزيمة القاسية، الفنان المبدع متنوع المواهب صلاح جاهين^(١) والذي انبرى هو والكثيرون من جيله في تشريح أسباب تلك الكبوة المريعة، والتي لازالت مصر والعالم العربي، تعاني من ارتداداتها وآثارها السلبية حتى يومنا هذا.

من تلك الأعمال الفنية، والتي كتبها "صلاح جاهين" للسينما بمشاركة المخرج "يوسف شاهين"، صب فيها جاهين وشاهين جام غضبهما على ثورة يوليو ونظامها، فيلم "عودة الابن الضال" والذي كان جزءاً من ثلاثية أطلقت عليها (الحساب مع الآخر)، وشملت: حساب المثقفين المصريين ممثلاً في فيلم الاختيار، وحساب النظام بسليباته ممثلاً في فيلم عصفور، وحساب أجيال الثورة ممثلاً في فيلم عودة الابن الضال، والذي كان بمثابة تشريح كامل لثلاثة أجيال متعاقبة.

الفيلم من إنتاج عام ١٩٧٦ لشركة مصر العالمية (يوسف شاهين)، ومن بطولة الفنانين: محمود المليجي وشكري سرحان وهدي سلطان وسهير المرشدي وأحمد محرز ورجاء حسين والفنان الجزائري سيد علي كويرات.

تدور أحداث الفيلم في قرية صغيرة تسمى "ميت شبورة" على حدود محافظات

(١) (١٩٣٠-١٩٨٦م) شاعر ورسام كاريكاتير وممثل مصري يساري الفكر.

القناة؛ حيث تتماس الصحراء مع الزراعة، وذلك أثناء قبول مصر لمبادرة روجرز^(١) لوقف إطلاق النار في أعقاب نكسة ٦٧؛ حتى يتسنى لمصر تشييد حائط الصواريخ، والذي مكنها من حماية العمق الداخلي للوطن، في أثناء ذلك تدور أحداث الفيلم، والتي تتمحور حول عائلة مدبولي وابنه الأكبر طلبة المتسلط، والذي يستثمر أموال والدته وابنة خالته "فاطمة" في معصرة بشكل منفرد، بعد أن أضاع والده أمواله على حلم زراعة الصحراء، كل هذا أثناء غياب أخيه الغائب المهندس "علي" والذي يعود للقرية بعد غياب؛ نظراً لسجنه بعد تورطه في قضية فساد ملفقة.



(١) مبادرة قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية في ٥ يونيو ١٩٧٠ عن طريق وزير خارجيتها وليام روجرز؛ لإيقاف النيران لمدة ٩٠ يوماً بين مصر وإسرائيل.

يبدأ الفيلم بأغنية المهرج (علي الشريف) الضاحك الباكي؛ مما اتسق مع روح الفيلم الذي تغلب عليه التراجيديا المغلفة بالأمل؛ لينتهي الفيلم بنفس المهرج وهو يغني مع طفل، كرمزية للمستقبل كعادة يوسف شاهين في أفلامه.

يتناول الفيلم في الكثير من مشاهدته العديد من مواطن الخلل المبطنة والظاهرة في تلك القرية، والتي تعبر عن الشروخ العميقة في بنيان نظام يوليو، من أمثلة ذلك "طلبة" المتحكم في العمال دون أي اعتبار لحقوقهم، وتهديدهم الدائم له بمكتب العمل^(١)، والذي يتحايل عليه بعدم كتابة عقود للعمال الذين يعملون بماكينات متهاكة لم يتم تجديدها، منذ أن باع الخواجة المعصرة لطلبة بثمن بخس حتى لا يتم تأميمها، في رمزية واضحة تعبر عن مدى التهالك الذي وصلت إليه دولة يوليو، والتي كانت شعاراتها تقوم على التصنيع وحماية البسطاء من العمال والفلاحين ورعاية حقوقهم.



تناول الفيلم أيضاً قضية الفساد المتمثل في المقاول الفاسد، والذي تسبب في سجن المهندس "علي" بعد أن ألصق به تهمة الغش في البناء؛ ليتنقل المهندس الذي كان

(١) مكتب فحص شكاوى مخالفات قانون العمل.

يعمل في مشروع بناء السد العالي إلى غياهب السجن كنتيجة لتطلعه غير المشروع للغنى السريع، بعد أن كان يؤمن بالثورة وأهدافها.

أوضح الفيلم تبعات الحرب القاسية، والتي تمثلت في أزمة التمويل ومحاولة البعض من أمثلة طلبة لاستغلال الأزمة عن طريق محاولته الحصول على مناقصة تعيينات الكتبية، والتي كانت تتمركز حول القرية، ومحاولاته المضنية للفوز بها قبل أن يسري مفعول وقف إطلاق النار؛ فمثله لا يعبأ بسلام أو بحرب.

مثل أفراد عائلة "المذبولي" أجيالاً مختلفة من المصريين؛ فالجيل الأول تم تمثيله في الجد محمد اللاهي العايب، والذي أنفق أموال عائلته على مشاريعه غير المدروسة للاستصلاح؛ مما أوقعه تحت رحمة زوجته رتيبة، والجيل الثاني مثله طلبة (الذي يتزوج جبراً ابنة خالته حتى يستولى على ثروتها بعد أن ترك الكلية الحربية)، والمهندس "علي" الغائب، بينما مثل الجيل الجديد إبراهيم الذي يحلم بالسفر إلى الخارج حتى يصبح مثل العالم المصري فاروق الباز^(١) و"نفيدة" التي تحلم بأن تكون طبيبة، رمزت "فاطمة" بشكل أو بآخر إلى الوطن، والذي تم اغتصابه واستغلال أمواله بواسطة نموذج طلبة الفاسد المتسلط، بينما تنتظر "فاطمة" المهندس "علي" الغائب هي وكل أهل القرية الذين ينتظرونه بفارغ الصبر كمخلص لتلك القرية من أمثال طلبة... لكن تصبح صدمتهم كبيرة عندما يكتشفون أن "علي" (الابن الضال) ما هو إلا شبه إنسان قضى السجن عليه وحوله إلى شخص مستكين ومستسلم للواقع المعيب، يستخدم التسويق كوسيلة للهروب من كافة واجباته والتزاماته.

أوضح الفيلم الاستعدادات التي كانت تتم لإزالة آثار النكسة -حسب تعبير

(١) عالم مصري أمريكي عمل في وكالة ناسا للمساعدة في التخطيط للاستكشاف الجيولوجي للقمر.

الدولة وقتها- والذي تمثل في نصب حائط الصواريخ^(١)، وفي مشهد يتسم بالذكاء والعمق، كان رفض الضابط الشاب "أحمد عبدالوارث" لإلحاح طُلبة للحصول على مناقصة الجيش، والذي يقابل برفض الضابط الشاب، والذي يطلب منه تقديم ملفه مثله كممثل أي شخص آخر دون أي اعتبار لصداقته لقائده، الذي كان دفعة طُلبة في الكلية الحربية؛ معبراً عن حالة الجيش المصري وقتها والتي لم تكن تسمح بمثل تلك الممارسات الفاسدة.

على الرغم من النقد اللاذع الذي وجهه الفيلم للثورة ونظامها، إلا أنه اعترف بشكل ضمني بأبوية الزعيم الراحل "جمال عبدالناصر"، وذلك عندما أوضح الفيلم أن خروج علي من السجن، كان بسبب خطاب التماس أرسله علي إلى الرئيس طالباً منه العفو عنه ومقابلته له؛ حتى يوضح مظلوميته، وأوضح الفيلم مدى حزن علي والمصريين بسبب وفاة الرئيس ممثلاً في المشاهد الحقيقة والتي التقطتها عدسة "يوسف شاهين" لجنازة الرئيس الراحل المهيبة، والتي خرج فيها المصريون عن بكرة أبيهم توديعاً له، على الرغم من الهزيمة وتبعاتها.

كانت الاستعراضات الغنائية من أهم وأنجح أدوات الفيلم، والتي تم تلحينها بواسطة نخبة مصر من الملحنين في ذلك الوقت، من أمثال بليغ حمدي وكمال الطويل وسيد مكاوي، ومن تلك الاستعراضات العميقة المعنى استعراض (الساعة) والذي تناول سبب سجن أمثال علي في ذلك الوقت عقاباً على الرأي المعارض، واستعراض (الشارع لنا) والذي يتفرض فيه جيل الشباب من أمثال "إبراهيم" و"تفيدة" معلنين أن الوطن وطنهم وليس وطن طُلبة وأمثاله، تنتهي تلك الهبة الغنائية براعي

(١) هو مجموعة قوات منفصلة للدفاع الجوي المصري، كانت تضم المدفعية المضادة للطائرات ووحدات الصواريخ وأجهزة الرادار والإنذار؛ إضافة إلى مراكز القيادة المشتركة، أنشأتها مصر عام ١٩٧٠م بهدف صد الهجمات الجوية الإسرائيلية.

البقر الأمريكي في إيجاء إلى سيطرة الغرب الممثل في الولايات المتحدة الأمريكية على القرار المصري فيما بعد، في تنبؤ مستقبلي تؤكد أيضاً في الفيلم بمشهد تسلم الماكينات الجديدة، والتي كانت أمريكية الصنع؛ ليتضح أن تلك الماكينات ما هي إلا ماكينة صغيرة أمريكية غير قادرة على الإنتاج، في دلالة على تبدل توجه الدولة في ذلك الوقت. كان الثلاثي "محمود المليجي" (ذلك الأب الضعيف)، وهدى سلطان (تلك الأم المسيطرة)، والابن شكري سرحان (المتسلط)، بمثابة ركيزة الفيلم الرئيسية للتعبير عن مأساة عائلة، في أداء مبهر بأسلوب السهل الممتنع المعتاد من نجوم بمثل حجمهم. ينتهي الفيلم بتراجيديا قتل طلبة لأخيه (قايل وهابيل هذا العهد) وتُتوفي الأم بطلقة طائشة، وتقتل فاطمة طلبة لينتهي المشهد والفيلم بنهاية هذا الجيل والذي أضحى عبئاً على الوطن، ويترك الجد المدبولي هذه المأساة ليلحق بحفيده "إبراهيم" طالباً منه هو وتفيدة أن يترك تلك القرية وألا يعود؛ فربما يكون لهما مستقبل أفضل في مكان آخر يحمل لهما بذور الغد المشرق لوطن جديد؛ ليودّعا الماضي بحلمه الكبير.



العصفور...

توصيف مؤلم لأسباب النكسة

تعتبر هزيمة ١٩٦٧ من أكثر الأحداث التي مرت على الدولة المصرية ألماً وقسوة.

كانت تلك الهزيمة المدوية بمثابة نهاية مأساوية لعهد ثورة يوليو، والتي انتهت فاعليتها في المجتمع المصري في ذلك الحين؛ لتدخل بعدها مصر في طور التعبئة الشاملة لإزالة آثار العدوان.



من أكثر الأعمال السينمائية نضجاً، والتي تناولت النكسة وظروف وأسباب حدوثها، فيلم "العصفور" للفرد والفنان العبقري "يوسف شاهين"، والذي أُنتج عام ١٩٧٢ وتأخر عرضه لاعتراض الرقابة عليه، وتم عرضه بعد ذلك في عام ١٩٧٤ بعد نصر أكتوبر ٧٣.

الفيلم عن قصة وسيناريو وحوار "لطفى الخولي"، وإخراج وإنتاج "يوسف شاهين"، وبطولة "محسنة توفيق" و"صلاح قابيل" و"علي الشريف" و"سيف عبدالرحمن".

تدور أحداث الفيلم حول الضابط "رءوف" الذي يطارد المجرم "أبوخضر" في الصعيد، والذي يعترف للصحفي "يوسف" بأنه ليس إلا مجرماً صغيراً لحساب مجرمين كبار يقومون باستتجاره لسرقة ماكينات المصنع المزمع إنشاؤه.

يتم قتل "أبوخضر" وينتقل الضابط "رءوف" للعيش مع الصحفي "يوسف" والشيخ "أحمد" في منزل "بهية" الخياطة، والتي تعيش في حي الحسين الشعبي، ينتهي الفيلم بالنكسة وخروج "بهية" إلى الشارع مع المتظاهرين الرافضين الاستسلام للهزيمة ولتنحي الرئيس "جمال عبدالناصر".

يوصف الفيلم في أحداثه المتدرجة من القرية المصرية المهمشة إلى العاصمة المليئة بالفساد والتخبط، أسباب نكسة ٦٧، وكيف أن الهزيمة كانت نتيجة طبيعية ومتوقعة لواقع مصري ممزق ومهترئ، أصبحت فيه الثورة مجرد شعارات وليست أفعالاً، كما قال أحد أبطال الفيلم "إحنا في مصر بتكلم ثورة ونكتب ثورة ولكن أفعالنا ليست بثورة".

تناول الفيلم أيضاً الوضع السياسي الذي أنتجته ثورة يوليو متمثلاً في الاتحاد الاشتراكي، بنقد لاذع؛ فقد أضحى هذا التنظيم السياسي مرتعاً للفساد وسوء استغلال

السلطة، وتناول الفيلم أيضاً الصحافة المصرية وحالها في ذلك الوقت، وما كانت تعانيه من قيود رقابية صارمة.

في وسط كل تلك الأجواء المحبطة، كان جيل يوليو هو الأمل الذي عبّر عنه الفيلم في صورة نماذج متنوعة من الشباب الثوري النقي الطاهر؛ مثلاً في ضابط الجيش وضابط الشرطة والصحفي وشيخ أزهرى قروي وطالبة جامعية، كلهم متفقون على حب الوطن والسخط على الأوضاع القائمة.



رمز شاهين في شخصية "بهية" لمصر؛ حيث تلك المرأة الصبورة، المكافحة الطيبة والحنونة والتي تجمع بين ذراعيها كل أطياف الوطن، بسيطة ولكنها صامدة، ترفض الهزيمة بشكل غرائزي في النهاية، مبشرة بنصر ١٩٧٣ لتصبح "بهية" أيقونة للوطن المصري في الوجدان الشعبي.

كان لصوت الشيخ "إمام"^(١) وأغنيته "مصر يا بهية" حضورٌ راسخٌ في أحداث الفيلم، والذي كان الوطن وأسباب هزيمته هو محور أحداثه.

أبدع الفنانون جميعهم في هذا الفيلم، وعلى رأسهم "محسنة توفيق" ذات الأداء السهل الممتنع، والفنان "علي الشريف" الذي عبّر عن بساطة المصري القروي، والذي حاول بكل السبل خدمة وطنه بالرغم من إحباطه العام.

من أكثر مشاهد الفيلم تعبيراً عن مضمونه، مشهد تجمع أهل الحي حول التلفزيون وهم يستمعون لخطاب التنحي للرئيس "عبدالناصر" وكيف كانت صدمة الناس من هول الحدث، وعلى رأسهم "علي الشريف" الذي أخذ يبكي بينما "بهية" انطلقت في الشوارع مع المتظاهرين مرددة لجملتها الشهيرة: "لا حنحارب".

وأخيراً... إن فيلم "العصفور" والذي رمز شاهين بهروبه من القفص في نهاية الفيلم، بتحرر الوطن من الفساد السياسي والاجتماعي، هو أيقونة فنية خلاصة عن حدث جلل في تاريخنا المعاصر، والفيلم كان بمثابة جلد ذاتي لوطن ما بعد ثورة يوليو، استطاع بهذا النقد اللاذع المرور فوق هزيمته ليعبّر إلى ضفة الانتصار بعد ذلك.



(١) الشيخ إمام محمد أحمد عيسى: (١٩١٨-١٩٩٥م) ملحن ومغني مصري.

ليلة القبض على فاطمة...

عندما ثارت فاطمة على متسلقي يوليو

تتمتع جمهورية مصر العربية بتنوع ثقافي واجتماعي فريد؛ متمثل في مناطق وأقاليم الدولة المصرية المختلفة، والتي تتسم كل منها بصفات خاصة محددة، تعكس ثقافته وترسم طباع أهله وسلوكهم، القاسم المشترك بين كل تلك الأقاليم هو الانتماء الخالص للوطن والاستعداد للفداء والتضحية من أجله، مهما كانت الظروف المعيشية والتي تشابه تفاصيلها بين كافة أقاليم الدولة المصرية.



من تلك الأقاليم، والذي يتميز بحالة خاصة وفريدة في البر المصري هو إقليم "مدن القناة" وعلى رأسها مدينة "بورسعيد" الباسلة، والتي تدور فيها أحداث فيلم "ليلة القبض على فاطمة"، وتنتمي إليه أيضاً مؤلفة الرواية، والتي أخذ عنها الفيلم، الكاتبة المصرية القديرة "سكينة فؤاد"^(١).

الفيلم تم إنتاجه عام ١٩٨٤ عن رواية "ليلة القبض على فاطمة" للكاتبة "سكينة فؤاد"، ومن إخراج وسيناريو المخرج الراحل "هنري بركات"، وبطولة كوكبة من النجوم المصريين على رأسهم: سيدة الشاشة العربية "فاتن حمامة"، والفنان الراحل "شكري سرحان"، و"محسن محيي الدين"، و"صلاح قابيل"، و"نعيمة الصغير"، و"علي الشريف".

تدور أحداث الفيلم حول "فاطمة" ابنة بورسعيد، والتي يبدأ الفيلم بمجيء مجموعة من أفراد مستشفى الأمراض العقلية الذين يريدون اصطحابها إلى المستشفى؛ بناءً على شكوى أخيها "جلال بك" عضو الاتحاد القومي، والذي يدّعي إصابتها بالجنون، ويتجمع الناس حول "فاطمة" في أعلى سطح منزلها مهددةً بإلقاء نفسها من أعلى؛ لتبدأ في الحديث عن الدافع الحقيقي وراء ادعاء أخيها بذلك؛ لتوضح للناس حقيقة أخيها الذي يدّعي البطولة والوطنية، بينما هو مجرم بكل ما تحمله الكلمة من معنى؛ حيث تاجر في المخدرات والسلاح والتهريب مع الإنجليز، وقام بتلفيق تهمة تجارة المخدرات لخطيبها "سيد" لمجرد أنه يريد الزواج منها، وكيف أنه ادعى قيامه بإحدى العمليات الفدائية لحساب المقاومة الشعبية، بينما هو في حقيقة الأمر تخاذل وجبن؛ مما اضطر أخته "فاطمة" للقيام بالعملية الفدائية بدلاً منه، ورفضت فاطمة الإفصاح عن ذلك حتى تُبقي صورة أخيها براقاً أمام الناس، ينتهي الفيلم باستسلام

(١) سكينة فؤاد: كاتبة وروائية مصرية من مواليد ١٩٤٥م، عُرف عنها اهتمامها بقضايا الأمن الغذائي.

"فاطمة" والذهاب إلى مستشفى الأمراض العقلية؛ ليبدأ شعب بورسعيد وفي صدارته "الصحفي عبود" حملةً لتوضيح حقيقة "جلال طاهر"، وتخرج "فاطمة" من المستشفى ويُسجن "جلال"، وينتهي الفيلم بالإشارة إلى زواج "فاطمة وسيد".

قام الفيلم برسم خريطة لواقع مدينة "بورسعيد" قبل وأثناء وبعد عدوان ١٩٥٦؛ حيث مجتمع الصيادين وعششهم البسيطة على البحر؛ ممثلة في "سيد"، هذا الصياد البسيط الذي يسافر إلى الخارج بحثاً عن لقمة العيش، ويعود خالي الوفاض لنفس المجتمع الذي لم يتغير تقريباً؛ حيث الصيادون البسطاء وما يرتبط بهم من أهالي المدينة، وكأن ثورة يوليو لم تغير كثيراً في أوضاع هؤلاء.

كان "جلال طاهر" هو النموذج الصارخ الذي تمحور حوله الفيلم والرواية؛ فبالرغم من أنه مولود في عهد يوليو وكان مشروع شخص متفوق، إلا أنه اختار طريق الفساد بدءاً من التعامل مع الإنجليز من خلال أحد عملائهم المصريين، ثم الانتقال إلى تجارة المخدرات والسلاح أثناء الحرب؛ حيث الموقف الزائف للبطولة يصنع منه بطلاً شعبياً محلياً، مكّنه فيما بعد من الانتساب للكادر السياسي لثورة يوليو، من خلال التحاقه بالاتحاد القومي، ويكافأ بقصر من قصور الحراسات؛ ليمارس من خلاله نشاطه الصارخ في التسلق واستغلال النفوذ والتربح على حساب الشعب المسكين.

نموذج "فاطمة" هو نموذج المرأة بورسعيدية المفعمة بالأخلاق والمثل العليا، والتي رفضت أن تترك إختها وتسافر مع من أحببت؛ من أجل أن تربيهم، وهي أيضاً التي رفضت أن تترك رجال المقاومة بدون سلاح بعد أن رفض أخوها "جلال" إيصال الذخيرة إليهم؛ فخاطرت بنفسها من أجل وطنها ونسبت هذا العمل البطولي إلى أخيها؛ غير عابئة بالتقدير والمدح.

رمزت الكاتبة بـ"فاطمة" لمصر، والتي هي نموذج مشابه لنموذج "بهية

القاهرة "للراحل "يوسف شاهين"، و"فاطمة تعلبة الريفية" للراحل "خيري شلبي"، وعلى نفس وزنهن، ولكن هنا في بقعة مختلفة من أرض الوطن؛ حيث "بورسعيد" الباسلة، متشبهة بنساء عظميات من أمثال: "نفرتيتي" و"نفرتاي" و"إيزيس" اللائي أعطين لهذا الوطن الكثير والكثير دون انتظار لأجر أو لشكر.



مثّلت شخصية "سيد" أحد النماذج الرئيسية لهذا المجتمع البسيط، مجتمع الصيادين الفقراء؛ فكان "سيد" شخصاً مسالماً، طيب القلب، متسامحاً، متفانياً، ترك وطنه وسافر إلى الخارج بحثاً عن الرزق، وكان ما يكسبه يرسله إلى حبيبته "فاطمة"؛ حتى تستطيع الإنفاق على إختوتها؛ ليعود في النهاية إلى بورسعيد ويصطدم بالتغير المجتمعي المتمثل في ظهور شخصيات طفيلية من نموذج "جلال طاهر"، الذي لم يتحمل وجوده في حياة أخته؛ لما يمثله من خطورة على سلوكه الفاسد، بسبب نقائه وطهره؛ مما يدفع "جلال" للتخلص منه.

هنا أرادت الكاتبة أن توضح كيف يتعامل الفساد مع أبناء الوطن من البسطاء

والشرفاء؛ فالفسادون يقومون بطرد أي نموذج إيجابي محيط بنشاطهم؛ مما يؤدي في النهاية إلى خلوّ الساحة المجتمعية لهم، وهنا مكمن الخطورة.

من أكثر شخصيات الفيلم لفتاً للانتباه، هي شخصية "أم روحية" والتي قامت بدورها الفنانة "نعيمة الصغير"، التي كان أدائها في الفيلم أكثر من رائع وقمةً في النضج والعمق؛ فهي رفيقة "فاطمة" طوال رحلتها المأساوية في الحياة؛ ضاربةً بذلك أنقى وأرقى نماذج الصداقة والوفاء؛ حتى في تلك الطبقة البسيطة من طبقات المجتمع، لفت نظري أيضاً شخصية "الصحفي عبود"، والذي قام بدوره الفنان "ممدوح درويش"، والذي رمزت له الكاتبة بأبناء ثورة يوليو الشرعيين الأتقياء من المثقفين، الذين لم يتوانوا عن فضح الممارسات والانحرافات الفاسدة، والتي تُضر بالوطن وثورته.

كان لموسيقى المبدع "عمر خيرت" دورٌ محوريٌّ في الفيلم، وكان جمعه للموسيقى التقليدية مع موسيقى السمسامية البورسعيدية، بالغ الأثر في توضيح روح العمل الفني، والذي تدور أحداثه في تلك المدينة الباسلة.

من أكثر مشاهد الفيلم تعبيراً عن روح العمل، هو مشهد انتظار "فاطمة" لـ "سيد" خارج أسوار السجن، وقد جُهزت له فرقةٌ موسيقية شعبية احتفالاً به؛ تعبيراً عن مدى فرحتها بخروجه إلى العالم مرة أخرى.

كان تعبير "خالة فاطمة" من أكثر ما شد انتباهي في الفيلم؛ حيث كان ترديده من كافة المحيطين بـ "فاطمة" هو اعتراف ضمني منهم بتلك الشخصية المتفانية؛ فكل أهل الحي من الشباب يُكنون لها التقدير والإعجاب؛ فهي الخالة الحنون التي تحتوي الجميع، وهي رمز التفاني والعطاء.

وفي النهاية... إن فيلم ورواية "ليلة القبض على فاطمة" ما هو إلا محاولة لتوجيه

رسالة نقد وعتاب إلى ثورة يوليو من إحدى المؤنات بها، وهي الكاتبة "سكينة فؤاد" والتي سلطت الضوء على الفاسدين والمتسلقين الذين التحقوا بركب الثورة من دون وجه حق، كما يحدث في كافة ثورات العالم؛ لتأتي نهاية الفيلم لتصحيح هذا وتطهر ثوب الثورة، ويتم القبض على الفاسد "جلال" وتخرج "خالة فاطمة" من مستشفى الأمراض العقلية؛ لتعود مرة أخرى إلى مدينتها الباسلة.



أرض النفاق...

نقد البيروقراطية المصرية... بعد الثورة

بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، شرعت الدولة المصرية ممثلةً في المؤسسة المصرية العامة للسينما، في إنتاج العديد من الأعمال الفنية التي تناولت بالنقد وبشكل لاذع ومبطن الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أدت إلى تلك النكسة العسكرية.



من تلك الأعمال التي تم إنتاجها بعد النكسة، فيلم "أرض النفاق"، والذي تم إنتاجه عام ١٩٦٨.

الفيلم عن قصة الأديب الراحل "يوسف السباعي"، ومن إخراج رائد الكوميديا المصرية "فطين عبدالوهاب"، وبطولة الفنان الراحل "فؤاد المهندس" والفنانة الراحلة "شويكار".

تدور أحداث الفيلم في إطار كوميدي خيالي، حول الموظف البسيط "مسعود أبوالسعد"، والذي يعيش في حارة مصرية شعبية، حياة مليئة بالضغوط سواء في منزله أو في العمل، يقابل "مسعود" شخصاً زاهداً يبيع حبوباً تُدعى حبوب الأخلاق؛ ليبدأ في تجربة تلك الحبوب، من حبوب الشجاعة إلى حبوب النفاق ثم حبوب الصراحة بطريق الخطأ؛ ليُمرّ بالعديد من المواقف الفكاهية؛ حتى ينتهي به الحال إلى أن يُلقي حبوب الأخلاق في نهر النيل؛ أملاً منه في إصلاح حال المجتمع.

ناقش الفيلم ومؤلفه حال المجتمع المصري في الستينيات بعد عقد من ثورة يوليو؛ ليوضح بشكل ناقد أن الحارة المصرية لم تتغير بعد؛ فما زالت تخضع لمفهوم البلطجة والقوة، بينما الجهاز الإداري للدولة ممثلاً في "عويجة" أفندي هو نموذج صارخ للبيروقراطية المصرية المترهلة والمتجذرة في نسيج الجهاز الحكومي المصري والموروث منذ العهد الملكي.

أوضح الكاتب بشكل ساخر ومؤلم، مدى قدرة صفة النفاق على إنجاح صاحبها وسط المجتمع، بينما صفة الشجاعة والصراحة كنماذج للصفات الحميدة، أدت للأسف الشديد إلى تعاسة البطل، وجعلت تلك الصفات من حياته جحيماً.

كان إنتاج الدولة لمثل هذا الفيلم بمثابة تحرك تصحيحي ونقدي من خلال الفن؛ حيث تعلن الدولة ممثلة في وزارة الثقافة، أنها تتفهم لم يحدث النكسة، ولتؤكد أنها لا

تجبل من كشف عوارها الاجتماعي بشكل يحمل قدراً كبيراً من الشجاعة والمواجهة.



في مشهد معبر جمع بين البطل "فؤاد المهندس" و"عويجة" أفندي (الفنان حسن مصطفى) حيث تناول "مسعود" قضية "الشكل" العبثية، وما أنفقتة الدولة عليه من أجل إصلاحه؛ ليمثل هذا المشهد الصارخ نموذجاً رائعاً في الكوميديا السوداء؛ حيث يوضح مدى الترهل الذي وصلت إليه البيروقراطية المصرية.

من أكثر مشاهد الفيلم تعبيراً عن روحه ومضمونه، هو مشهد إلقاء البطل لحبوب الأخلاق في نهر النيل؛ ليتحول المجتمع بشكل مؤقت إلى مجتمع مثالي تحكمه الأخلاق والصفات الحميدة، ولكن للأسف الشديد لا يدوم هذا المفعول كثيراً؛ ليعود المجتمع مرة أخرى إلى سيرته الأولى من النفاق والفساد الأخلاقي والاجتماعي.

أخيراً... إن أرض النفاق ما هو إلا رسالة نقد فنية من إحدى مؤسسات الدولة، والتي عكست أوضاعاً اجتماعية أدت بشكل أو بآخر إلى هزيمة دولة بأسرها.



آه يا بلد آه...

نقد متأخر وشباب مهاجر

كثير من الأفلام والتي تم إنتاجها في ستينيات القرن الماضي، قدمت بشكل أو بآخر نقداً لاذعاً للأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي نجمت عن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وما تلاها من تغيرات عميقة في بنية المجتمع، وعلاقة طبقاته ببعضها البعض.



كان القاسم المشترك بين كل تلك الأعمال الفنية، هو أنها قد تم إنتاجها في عقد الستينيات، وبعضها قد تم إنتاجه وتوزيعه بواسطة الدولة نفسها؛ خصوصاً بعد هزيمة ٦٧ القاسية، والتي استدعت نقداً ذاتياً شاملاً لتيان أسباب ما حدث.

يعتبر فيلم "آه يا بلد آه" والذي تم إنتاجه عام ١٩٨٦ أحد الأفلام القليلة والتي انتقدت الثورة بشكل متأخر نسبياً.

الفيلم من إخراج الراحل المبدع "حسين كمال"، وتمثيل الفنان الكبير "فريد شوقي" و"حسين فهمي" و"ليلي علوي"، ومن تأليف المؤلف والصحفي الكبير "سعد الدين وهبة"^(١).

تدور أحداث الفيلم حول "مجدي" الشاب المتعلم المثقف الذي يسافر إلى قرية أبيه "عزبة الباشا" في البرؤس من أجل أن يبيع أرض أبيه هناك؛ حتى يهاجر إلى خارج البلاد؛ ليلتقي بعم "أيوب" المقاوم السابق للإنجليز، والذي يقنعه بعدم التخلي عن أرض أبيه وأجداده، ثم يلتقي هناك "بفريدة" تلك الأرملة التي تقف أمام جشع "رضوان" عضو الاتحاد الاشتراكي^(٢) والذي يحاول أن يستولي على أرضها بالقوة؛ ليقف أمامه "مجدي" و"عم أيوب" ويثور أهل القرية عليه وينتهي الفيلم بمقتل "أيوب"، ويقرر "مجدي" البقاء في القرية والزواج من "فريدة" ويقوم بفلاحة أرض آبائه وأجداده.

بدأ الفيلم بتناول حال العاصمة "القاهرة" في عقد الثمانينيات من حيث ما عتراها من است شراء مظاهر العشوائيات من ساكني المقابر إلى الازدحام الشديد، مع

(١) (١٩٢٥-١٩٩٧م)، مؤلف مسرحي وكاتب سيناريو مصري، قدم العديد من المسرحيات الهامة ذات البعد السياسي والوطني.

(٢) الاتحاد الاشتراكي العربي: هو تنظيم سياسي مصري أعلن الرئيس "جمال عبدالناصر" عن تأسيسه في ٤ يوليو ١٩٦٢ كتتنظيم موحد يقود الحياة السياسية في مصر، وقد جاء بديلاً للاتحاد القومي.

الضوضاء المتمثلة في الفيلم في صوت (الكلاكسات)... كل ذلك دفع البطل وغيره الكثيرين من الشباب إلى الهجرة خارج البلاد؛ تاركين الوطن لمشاكله وسليباته، من منطلق القفز من القارب المملوء بالثقوب.

حاول "سعد الدين وهبة" هذا الكاتب الناصري الأيديولوجية، تقديم ما يشبه التوصيف الكامل لأسباب هجرة الشباب المصري المتعلم إلى الخارج، والتي تتمثل في استيلاء منتسبي الثورة متمثلين في شخصية "رضوان" عضو الاتحاد الاشتراكي على مقدرات الوطن، بينما أبناء الثورة الحقيقيون متمثلين في شخصية "أيوب" المقاوم السابق، والذي خسر عائلته فداء لوطنه، وأصبح تقريباً أشبه بالمسؤولين.

رمز الكاتب ببراعة وبشكل عميق لمصر في صورة شخصية "فريدة"، تلك الأرملة البريئة المملوءة بالكبرياء، التي تقف بقوة وصمود في وجه من يحاول الاستيلاء على أرضها، والتي تنتصر في النهاية عندما يأتي لنجدتها المصري المتعلم المثقف نتاج ثورة يوليو الحقيقي، والذي يستطيع التغلب على المنتسبين للثورة من أمثال "رضوان".

استطاع الراحل "حسين كمال" رسم صورة فنية خلاصة للريف المصري في مشاهد الفيلم، مع الحفاظ على إيقاع درامي متصاعد جاذب للمشاهد.

كان دور "أيوب" وأداء الفنان الراحل "فريد شوقي" أشبه بالسهل الممتنع؛ فنفس الشخص الضاحك اللاهي، غير العابئ بالحياة، يتحول فجأة كما كان في زمن الاحتلال، لشعلة ثورية قادرة على الوقوف أمام الظلم في أي وقت وفي أي زمان.

"آه يا بلد.." تلك العبارة التي يرددها "عم أيوب" تعبيراً منه عن سخطه على الأوضاع القائمة التي تملأ "عزبة الباشا"، تلك القرية والتي تحمل اسم "الباشا" تعبيراً عن خروجها عن سياق الزمن من حيث جهود الأوضاع حتى بعد قيام ثورة يوليو... بالتدريج تنتقل تلك العبارة الاعتراضية إلى البطل "مجددي" لتلازمه هو أيضاً حتى نهاية

الفيلم؛ حيث يتحول تدريجياً من مستسلم للواقع إلى ثوري متمرد.

من أهم نجوم هذا العمل أيضاً، هي الموسيقى التصويرية للمبدع الراحل "عمار الشريعي" والذي استطاع بموسيقاه من خلال ناي عم "أيوب" أن يصل بالمشاهد لأكثر مراحل الاندماج في العمل الفني.

من أهم مشاهد العمل والتي عبّرت بقوة عن مضمونه، هو مشهد التقاء "أيوب" و"السنيرة" والتي قامت بدورها الفنانة البديعة "تحية كاريوكا"، وكيف أنهما أخذتا في استعادة الذكريات لتتحول فرحتهما باللقاء إلى لحظة شجن وبكاء معبر عما وصلنا إليه من حال يُرثى له، بعد أن كانا ملء السمع والبصر في الزمن الماضي.

وفي النهاية... إن فيلم "آه يا بلد آه" هو صرخة متأخرة لمؤلف من أبناء دولة يوليو، انتقدها بحب في عمل فني بديع؛ داعياً أبناء وطنه لعدم ترك وطنهم لمنتسبي الثورة، والذين أساءوا لهذا البلد الذي عانى كثيراً من أمثال هؤلاء.





سينما السد العالي



الحقيقة العارية...

تجسيد وتوثيق ملحمة بناء السد العالي

قليل من الأفلام المصرية التي قامت بتوثيق حدث تاريخي معين وهو يحدث في حينه.



من تلك الأعمال السينمائية القليلة والتي وثّقت حدثاً تاريخياً هاماً، هو فيلم "الحقيقة العارية" والذي تناول ووثّق إنشاء أضخم وأعظم مشروع مصري وإنساني في القرن العشرين، وهو مشروع بناء السد العالي بأسوان بجنوب مصر في ستينيات

القرن الماضي.

الفيلم من إنتاج عام ١٩٦٣، عن قصة الكاتب المصري "محمد عثمان"، وإخراج الراحل "عاطف سالم"، ومن إنتاج وبطولة الفنانة الراحلة "ماجدة" مع الفنان "إيهاب نافع"، والفنان "عبد المنعم إبراهيم".

تدور أحداث الفيلم حول المرشدة السياحية "آمال"، والتي تؤمن باستقلالية المرأة وتُضرب عن الزواج؛ خصوصاً وهي ابنةٌ لأمٍّ مطلقة، تسافر "آمال" في رحلة إلى أسوان مع فوج سياحي لزيارة معالم المدينة، بالإضافة إلى زيارة السد العالي -تحت الإنشاء في ذلك الوقت-، تقابل هناك بالمصادفة المهندس "أحمد" الذي يعمل في مشروع بناء السد العالي، تتوالى الأحداث لتعود "آمال" إلى القاهرة وتُكلف من قبل شركتها بالسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ويحاول المهندس "أحمد" اللحاق بها، ولكنه لا يتمكن من ذلك؛ ليطلب منها الزواج من خلال لاسلكي الباخرة، وتوافق منهيةً مقاطعتها لفكرة الزواج.

يتناول الفيلم قضيةً اجتماعية ظهرت في عهد ما بعد يوليو نتيجة ما حدث من تطورات اجتماعية وخروج المرأة المصرية للعمل، وهي استقلالية المرأة وثورتها على التقاليد البالية، والتي تجعل المرأة أسيرة للقيود المجتمعية المجحفة.

بطلتنا "آمال" هي نموذج مثالي للمرأة المصرية العصرية؛ حيث إنها متعلمة ومثقفة وعاملة، وفي نفس الوقت فهي تعد رسالة ماجستير في قضية دينية شائكة، وهي قضية تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية، وكيف أن تلك القضايا وغيرها الكثير من الموضوعات الدينية، مازالت محل خلاف حتى وقتنا هذا بين رجال الدين والتقدميين المصريين، في حين أن هذا الفيلم المنتج في الستينيات، قد تناول في أحد مشاهدته تلك القضية الجدلية.

تعتمد الفيلم إظهار العديد من صور الدولة المصرية فيما بعد ثورة يوليو، من شركة السياحة الحكومية "مصر للسياحة"، إلى شركة الطيران المصرية "مصر للطيران"؛ وصولاً إلى إنشاء السد العالي، كل تلك الشركات كانت وقتها من مظاهر قوة الدولة المصرية التي كان القطاع العام^(١) هو العمود الرئيسي لاقتصادها في ذلك الوقت.



أوضح الفيلم بشكل توثيقي مراحل إنشاء السد العالي، والذي كان المشروع القومي لمصر وقتها، وكيف كان المشروع يجمع كل فئات الشعب المصري.

من أهم مشاهد الفيلم المشهد الأخير، والذي يتحدث فيه "أحمد" مع "آمال"

(١) القطاع العام: هو جزء من الاقتصاد، يتكون من كل من الخدمات العامة والمؤسسات العامة، تشمل الخدمات العامة والمرافق العامة والخدمات الحكومية، مثل الجيش وإنفاذ القانون والبنية التحتية والنقل العام والتعليم العام والرعاية الصحية.

من خلال اللاسلكي، والذي تم إخراجَه بحرفية من خلال مخرج الفيلم، وفي غياب
الإمكانيات الحديثة في ذلك الوقت.

وأخيراً... تحية وتقدير إلى صناع الفيلم وعلى رأسهم الفنانة "ماجدة"، والتي لم
تدخر جهداً أو مالاً لتوثيق هذا المشروع القومي العظيم.



الناس والنيل...

عندما يجتمع النوبي والروسي على أرض سد أسوان

كثيراً ما انتُقد المخرج المصري "يوسف شاهين" الراحل لانتهاؤه للمدرسة الغربية في الإخراج؛ فثقافته الفرنسية كانت دائماً طاغية في أعماله الفنية.



من تلك الأفلام التي شارك فيها "يوسف شاهين" المدرسة الشرقية في الإخراج، فيلم "الناس والنيل" والذي أُنتج عام ١٩٧٢، وشارك في إنتاجه الاتحاد السوفيتي

السابق.

الفيلم إنتاج مصري سوفيتي مشترك، وشارك في كتابة السيناريو الخاص به مصري "حسن فؤاد" وروسي "نيكولاي فيغوروفسكي" وذلك نظراً لأن الفيلم بطولة العديد من الفنانين المصريين والروس، وذلك بالإضافة إلى الموسيقى التصويرية الروسية التي أعطت للفيلم الطابع الملحمي.

تدور أحداث الفيلم حول عملية إنشاء السد العالي وخصوصاً عملية تحويل مجرى النيل، الفيلم تناول من خلال ملحمة الإنشاء مجموعة متنوعة من القصص، أولها الطبيب "عزت العلايلي" الذي يلتحق بالعمل في السد العالي، وترفض زوجته الفنانة التشكيلية "سعاد حسني" السفر معه إلى هناك، بينما والدها "محمود المليجي" يعمل في السد العالي في منصب هام.

ثاني قصص الفيلم هي قصة "أليكس" المهندس الروسي، والذي حارب في موقعة "ستالينجراد"^(١) ويقرر الذهاب للمشاركة في بناء السد العالي مع زوجته "زويا"، والتي تتبرم بعد فترة من عدم مشاركتها في العمل، بالرغم من أنها مهندسة، والقصة الثالثة هي قصة العامل النوبي "براق" والذي يصادق العامل الروسي "نيكولاي" وكيف جمعتهم صداقة قوية ومتينة.

يتناول الفيلم التعاون المصري الروسي في عملية تشييد وبناء السد العالي في ستينيات القرن الماضي، وهنا لا يتناول العملية اللوجستية لإنشاء السد؛ بل يحكي الفيلم عملية البناء في إطار إنساني، عن طريق مجموعة من القصص والتي تحكي مشاعر العمال والمهندسين الذين شاركوا في البناء، سواء كانوا من الروس أو المصريين.

(١) معركة ستالينجراد: هي إحدى أهم المعارك الكبرى والفاصلة التي شهدتها الحرب العالمية الثانية، جرت في مدينة ستالينجراد خلال الحملة العسكرية الألمانية على الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٢م.

الفيلم زواج بين المصريين الذين بدأوا في تعمير وطنهم في صورة بناء السد، وبين الروس الذين جاءوا من وطنهم ليشاركوا الشعب المصري عملية البناء؛ فنجد نموذج العامل "نيكولاي" الروسي، والذي تجمعته صداقة قوية مع العامل النوبي "براق"، وكلاهما من نفس الطبقة وتشاركهما نفس الحُلم، لدرجة جعلت "براق" يقدم عريضة إلى مديره المصري لمنع أمر عودة "نيكولاي" إلى روسيا، وجعلتهما الاثنان يقومان بالسباحة في المجرى القديم للنيل في آخر يوم لجريانه قبل تحويل مساره.

الفيلم زواج أيضاً بين أفراد الطبقة المتوسطة المصرية والروسية، في صورة علاقة المهندس "أليكس" والمهندس المصري "سعد" اللذين جمعتهم صداقة قوية ومتينة جعلت سعد يشاركه حزنه لسفر زوجته "زويا" إلى بلدهما الأم اعتراضاً منها على حياة الفراغ.

الفيلم بالرغم من تناوله لحدث سياسي إنمائي ناتج عن تعاون مصري سوفيتي وهو بناء السد العالي، إلا أنه تناول ذلك من خلال البشر وليس من خلال السرد التاريخي؛ فكلهم اجتمعوا على هدف واحد وهو البناء، بالرغم من الخلفيات المختلفة.

تعتمد "يوسف شاهين" توضيح حياة الروس في مصر؛ حيث كانوا يعيشون حياة المصريين نفسها، في تلك المباني السكنية الحكومية التقليدية، ولم يكونوا مختلفين عن أقرانهم المصريين، تعتمد المخرج أيضاً توضيح ما حدث لأهل النوبة^(١) من تهجير طوعي من أجل بناء السد العالي، وكيف ضحّى النوبيون من أجل بناء السد بوطنهم، مقابل القبول بالتهجير إلى قرى النوبة الجديدة في قلب الصحراء، وكان مشهد هجرة أهل النوبة ملحمياً وموثقاً لتلك التغريبة، والتي لم تتعد عن ذاكرة أهل النوبة إلى وقتنا هذا.

(١) بلاد النوبة: هي المنطقة التاريخية الممتدة على طول نهر النيل من الشلال الأول جنوب أسوان شمالاً إلى التقاء النيلين الأزرق والأبيض جنوباً، وكانت مقراً لواحدة من أقدم الحضارات في أفريقيا القديمة.



من أهم مشاهد الفيلم في رأيي، هو مشهد التفجير الذي أدى إلى تحويل مجرى النيل، وكيف كان الاحتفال به هائلاً، وعبر المخرج عن حالة الفرحة العارمة بواسطة المزوجة بين أصوات الأذان للمساجد، مع أجراس الكنائس الشرقية، ثم لقطة للمصافحة الحميمة بين المهندسين المصريين والروس، وسط قلق وترقب الصحفي الأميركي الذي كان يغطي الحدث، في إشارة إلى مخاوف الغرب ومؤامراته.

وأخيراً... إن فيلم "الناس والنيل" وإن كان يحمل طابعاً سياسياً واضحاً، إلا أنه توثيق لعلاقة مصرية سوفيتية لم تكن فقط على مستوى الدول؛ بل امتدت إلى مستوى البشر أيضاً، وجاءت خاتمة الفيلم بحوار المدير الروسي للمشروع مع العامل النوبي "براق" قائلاً:

"حقيقي التلج وحشني، كلنا راجعين بيوتنا يا صديقي، وأنت والي زيّك اللي هتشيلوا الحمل، مسئولية كبيرة وانتو قدّها"؛ إيذاناً ببدء تسليم المشروع للمصريين؛ لينتهي الفيلم بمشهد سير الطفل المصري بجلبابه الأبيض على سور كورنيش النيل بالقاهرة على خلفية موسيقية روسية، كأنها يؤكد المخرج أن المستقبل للمصريين؛ حتى ولو كان الإيقاع والخط النهضوي روسياً سوفيتياً.



خاتمة

مثلت ثورة ٢٣ يوليو حدثاً سياسياً ضخماً، وكانت ومازالت موجاتها الارتدادية تتفاعل في واقعنا السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ليس في مصر وحدها؛ بل على مستوى العالم العربي بأكمله.

حاولتُ في هذا الكتاب -أو بشكلٍ أدقّ الكتيب- أن أقدم تصوراً أقرب إلى الحيادية، عن طريق تحليل تناول الفن للثورة؛ خصوصاً تلك الأعمال الفنية التي تناولت ثورة يوليو بشكل غير مباشر؛ فمعظم الأعمال الفنية المذكورة في الكتاب، عكست واقع المجتمع المصري من جوانبه المختلفة، دون التعرض للثورة بشكل مباشر؛ فتلك الأعمال تماشّت مع ذلك الحدث السياسي عن طريق طرح صورة الواقع بشكل فني بحث، عكّس رؤية السينما لمصر وللمصريين في ذلك التوقيت.

قُسمت الأعمال الفنية في هذا الكتاب إلى خمسة أجزاء، تناولت كافة جوانب الحياة المصرية في ذلك الوقت، من الريف المصري والواقع الاجتماعي والاقتصادي، ووضع المرأة في المجتمع المصري، وأفلام السد العالي، وبالمصادفة كانت عناوين تلك الأجزاء هي من التوجهات المركزية لثورة ٢٣ يوليو وأجندتها المجتمعية.

كان وضع جزء كامل لسينما النقد السياسي ليوليو؛ تعبيراً صادقاً عن هدف هذا الكتاب، وهو تحليل الثورة وليس تجميلها أو تفخيمها أو إضفاء رتوش على سلوكها، وأتمنى أن يكون هذا الجزء بمثابة نقد حيادي موضوعي وليس وسيلة لإبراء ثوب عهد يوليو من الممارسات السلبية لنظامها السياسي.

لاحظَ القارئُ عدم تناول الكتاب للكثير من الأفلام، والتي تناولت ثورة ونظام

يوليو، وتمتعت بدرجة عالمية من الشهرة والشعبية الجماهيرية، وسبب ذلك أنها تناولت ثورة يوليو بشكل مبالغ فيه وغير موضوعي، سواء سلباً أو إيجاباً.

من أمثلة ذلك، أفلام تناولت الثورة وعهد يوليو بشكل دعائي مثل فيلم "رُد قلبي"، والذي كان على درجة عالية من الجودة الفنية، ولكن كان تناوله للثورة احتفائياً، وتغلب عليه رؤية أحادية الاتجاه في صف الثورة، مثله مثل فيلم "الله معنا"، و"شروق وغروب" واللذين وصما العهد الملكي - بالرغم من سلبياته - بكل ما هو سيئ وشائن، بشكل يفتقر إلى أدنى درجات الموضوعية والحيادية.

لاحظ القارئ أيضاً عدم تناول الكتاب لبعض الأفلام، والتي كان تناولها لثورة يوليو يغلب عليه الطابع الثأري الممزوج بتصفية الحساب السياسي مع نظام يوليو، من أمثلة ذلك فيلم "شيء من الخوف" والذي كان لوحة فنية بديعة، لكنها تحمل رمزية بالغة التشويه لنظام يوليو والرئيس الراحل "جمال عبدالناصر"، ولنفس السبب لم يضم الكتاب فيلم "الكرنك"، و"احنا بتوع الأوتوبيس" واللذين أنتجا في مُناخ توجّه سياسي معين، كان هدفه وشغله الشاغل تشويه العهد السابق، دون مراعاة لأية درجة من الموضوعية، ودون اعتبار إلى أن هذا التشويه كان يُلحق الضرر بنظام الدولة الجمهوري حديث التكوين.

أتمنى أن أكون قد استطعت في هذا الكتاب تكوين صورة أقرب ما تكون لواقع مجتمع يوليو، بعيدة قدر الإمكان عن استقطابات الآراء السياسية الحادة.

المراجع

- (١) قاعدة بيانات السينما العربية.
- (٢) (أعلام الأدب العربي المعاصر) لروبرت كامبل (٢/٢٣٣-٢٣٧).
- (٣) "زكي رستم.. باشا السينما المصرية - البيان". www.albayan.ae. مؤرشف من الأصل في ١١ ديسمبر ٢٠١٩. أُطلع عليه بتاريخ ١٩ ديسمبر ٢٠١٩م.
- (٤) أهم مئة فيلم في السينما المصرية: مئوية السينما المصرية، (١٩٠٧-٢٠٠٧)، تحرير أحمد الحضري. دراسات سينمائية ٢١ (الإسكندرية: مركز الفنون، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧).
- (٥) قاعد بيانات ويكيبيديا.
- (٦) "Reel Women: An International Directory of Contemporary Feature Films about Women". مؤرشف من الأصل في ٠١ أكتوبر ٢٠١٩م.
- (٧) حكاية «لطيفة الزيات» مع أول شيوعي سُجن في مصر، و"جوجل" يكرمها بعد ٩٢ عاماً، وكالة أنباء أوننا، ٨ أغسطس ٢٠١٥ نسخة محفوظة ١٦ أغسطس ٢٠١٩ على موقع واي باك مشين.
- (٨) قاعدة بيانات الأفلام العربية.
- (٩) نجيب محفوظ والسينما المصرية... أيهما استفاد من الآخر؟ الشرق الأوسط. نسخة محفوظة ٢٦ سبتمبر ٢٠١٩ على موقع واي باك مشين.
- (١٠) قاعدة بيانات الأفلام.
- (١١) يوسف شاهين: حدود مصرية بهرت العالم، بي بي سي - ٢٨ يوليو-٢٠٠٨ نسخة محفوظة، تاريخ الولوج ٢٣ أكتوبر ٢٠١٩ على موقع واي باك مشين.
- (١٢) "الحرام".. سرديّة سينمائية خالدة بعد نصف قرن من إنجازها، حكيم مرزوقي، العرب نيوز - ١٨ مايو- ٢٠١٩ نسخة محفوظة، تاريخ الولوج ٢٣ نوفمبر ٢٠٢٠ على موقع العرب نيوز.
- (١٣) فيلم «الزوجة الثانية»: عن حفيظة العاشقة المسكينة، نسخة محفوظة ١٣ مارس ٢٠١٩ تاريخ الولوج ٢٣ أكتوبر ٢٠٢٠ على موقع إضاءات.
- (١٤) ٥ شخصيات ظهرت في فيلم "القاهرة ٣٠" مازالت محفورة في الأذهان، نسخة محفوظة

- ٠١ نوفمبر ٢٠١٦، تاريخ الولوج ٣ ديسمبر ٢٠٢٠ على موقع اليوم السابع.
- (١٥) بالصور، البطل الحقيقي لفيلم "لا وقت للحب"، يروي تجسيد رشدي أباطة، نسخة محفوظة ١٤ مارس ٢٠١٥ تاريخ الولوج ١٣ مارس ٢٠٢٠، على موقع اليوم السابع.
- (١٦) في ذكرى ميلاد عمر الشريف... كيف اختلف فيلم «في بيتنا رجل» عن الرواية؟ نسخة محفوظة ١٠ أبريل ٢٠٢٠، تاريخ الولوج ١٩ نوفمبر ٢٠٢٠ على موقع الشروق.
- (١٧) "أبيض وأسود"... أشرف بيدس يكتب: في بيتنا رجل - ١٩٦١، نسخة محفوظة ٦ مايو ٢٠٢٠، تاريخ الولوج ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٠ على موقع بوابة الأهلالي.
- (١٨) مشهد واحد لراقية إبراهيم في «زينب» تكلف أكثر من نصف الميزانية، نسخة محفوظة ١٦ يونيو ٢٠١٤، تاريخ الولوج ٩ مايو ٢٠٢٠ على موقع جلولي.
- (١٩) تحفة «شاهين» و«جاهين»! نسخة محفوظة ٤ أكتوبر ٢٠١٨، تاريخ الولوج ١٥ يونيو ٢٠٢٠ على موقع جريدة الشروق.
- (٢٠) سينما يوسف شاهين: "عودة الابن الضال" وريث السينما المصرية، نسخة محفوظة ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٠، تاريخ الولوج ٦ نوفمبر ٢٠٢٠ على موقع صفحة أولى.

السيرة الذاتية للمؤلف



- دكتور عمرو منير محمد صبري.
- دكتوراه طب وجراحة العيون.
- مدرس طب وجراحة العيون بكلية
طب سوهاج.
- قام بنشر العديد من الكتب في
مجال جراحات الليزر.
- كاتب روائي وقاص.

